جازان في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين

(ق ٣ ـ ق ١٥ هـ / ق ٩ ـ ق ٢٠ م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، لمحمد بن مُعبِّر ، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠ / ٢٠١٨م)، (الجزء الأول)، ص ص ١٥٧ – ٢١٠ . ونشرت أيضاً في كتاب : منطقة جازان: دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام ـ ق ١٥هـ / ق ١ ـ ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١م)، (الجزء الأول)، ص ص ٩٥ – ١٤٤.

٣

الدراسة الثالثة

جازان في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين (ق٣ – ق١٥هـ / ق٩ – ق ٢٠م)

بقلم : أ.د . غيثان بن علي بن جريس

الدراسة الثالثة

جازان في عيون بعض الرحالين المسلمين وغير المسلمين (ق٣ - ق١٥هـ / ق٩ - ق٢٠م)

بقلم: أ.د . غيثان بن علي بن جريس

م	الموضـــــوع	الصفحة
أولاً :	مدخل	٩٧
ثانيا :	التعريف بالرحالة ومدوناتهم	٩٩
	١. الحسن بن أحمد الهمداني (ق٣-٤هـ/٩-١٠م)	٩٩
	٢. عمارة الحكمي اليمني (ق٦هـ/١٢م)	١٠٢
	٣. جمال الدين يوسف بن يعقوب المعروف (بابن المجاور/ ق٧هـ /١٣م)	١٠٤
	٤. ابن بطوطة (ق٨هـ/١٤م)	١٠٧
	٥+٦. السير كيناهان كورنواليس + روبن بدول (ق١٤هـ/٢٠م)	١٠٨
	٧. أمين الريحاني (ق١٤هـ/٢٠م)	١١١
	٨. ك. س تويتشل (ق١٤هـ/٢٠م)	١١٣
	٩. هاري سانت جون فلبي (ق١٤هـ/٢٠م)	١١٥
	١٠. محمد عمر رفيع (ق١٤هـ/٢٠م)	١١٨
	١١. ولفرد ثسيجر (ق١٤هـ/٢٠م)	١٢٣
	١٢. تركي بن محمد الماضي (ق١٤هـ/٢٠م)	١٢٦
	١٣. عاتق بن غيث البلادي (ق١٤هـ/٢٠م)	١٣٠
	١٤. بعض المؤرخين والرحالين الجازانيين (ق١٤-١٥هـ / ٢٠-٢١م)	١٣١
ثالثا :	وقفة تأمل وتحليل للرحالة ومدوناتهم	١٣٦
	١. تنوع ثقافات الرحالة	١٣٧
	٢. المصادر والمنهج المستخدم في جمع مادة المدونات	١٣٨
	٣. دراسة ومقارنة مدونات الرحالة	١٣٩
رابعاً :	آراء ووجهات نظر	١٤٣

أولاً : مدخل :

عندما نقول جـازان، فالمقصود بذلك المنطقة الممتدة من جنوب محافظة القنفذة شمـالاً إلى بلـدة الموسم جنوباً ،ومن ساحـل البحر الأحمر غربـاً إلى مرتفعات جازان الشرقية، والمحاذية لسروات قحطان وشهران وعسير من الناحية الغربية . وهذه الديار الجازانيـة ذات تاريخ سياسـي وحضاري عريق منذ القدم، بـل ذات موقع استراتيجي مهـم يربط بلدان اليمن التهاميـة مع سروات عسير الممتدة من أبهـا وبيشة شمالاً إلى ظهـران الجنوب ونجران وصعدة جنوباً . كمـا أنها ذات كثافة استيطانية كبيرة، وذات خيرات وموارد طبيعية متعددة . أشار إليها المؤرخون والشعراء وأرباب القلم في كثير من المدونـات، كما عبر أرضها الحجاج والعلماء والفقهاء والرحالون الجغرافيون وغيرهم. وعند البحث في كتب التراث المبكرة نجدها ذكرت في بعضها بشيء من الإيجاز، وأحياناً بالاختصار الشديد[١] .

والحقيقـة أن الأوطـان الجازانية عرفت الكثير من الأحـداث التاريخية السياسية والحضاريـة، وتحتـاج إلى تكاتف الجهود بين الباحثين الجازانيـين والمؤسسات العلمية والأكاديمية حتى يتم جمع موروثها الحضاري والتاريخي، وجامعة جازان خير من يتبنى هذا المشروع، وإن فعلت ذلك فسوف تقدم للمجتمع الجازاني خدمة جليلة، وتطلع أجيال اليوم والمستقبل على تاريخ وأمجاد آبائهم وأجدادهم[٢].

وفي هـذا القسـم الموسوم بـ: **جـازان في عيون بعض الرحالين المسـلمين وغير المسـلمين**، سـوف نعمـل على اطـلاع القارئ الكـريم على أهميـة منطقة جـازان التي ارتادهـا الكثير من العلماء، والرحالين شريحة صغيرة من أولئك العلماء الذين احتوت مدوناتهـم علـى تواريخ وروايات عن تاريـخ وحضارة هذه الديـار الجازانية، ولا نجزم بـأن دراستنا هذه شملت جميـع المؤرخين الرحالين الذين اجتـازوا جازان وذكروها في كتبهـم ومدوناتهـم، ولكننا أدرجنا (١٧) كتابـاً أو بحثاً[٣]، وجميعهـا لرحالين، ابتداءً

---

(١) انظـر ابـن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسـراة (ق١-ق١٠هـ)، جزءان . منطقة جـازان مازالت بحاجة إلى دراسـات علمية أكاديمية تاريخية عبر عصـور التاريخ منذ العهد القديم إلى بداية العصر الحديث. ونأمل أن نرى طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية فيتولوا هذه الحقب التاريخية بالاهتمام والبحث والتنقيب .

(٢) حبـذا أن تقوم جامعة جازان بتفعيـل وتطوير أقسام التاريخ والآثار والاجتمـاع (والفلكلور)، فتجلب لها الأساتذة الأكفـاء، وتنشئ لها المكتبات الجيدة وتستقطب لها الطالبات والطـلاب الجادين الأذكياء، وتشجع ميادين البحث ومراكزه، وإن قامت بذلك فسوف تجني ثماراً طيبة (بإذن الله تعالى) .

(٣) أوردنا في الفهرس العام فقط (١٣) اسماً لهم بحوث وكتب في عالم الرحلات، والمجموع الكلي فعلاً هم (١٧) كاتباً

بالحسن الهمداني في القرنين (٣-٤هـ/٩-١٠م)، وانتهاءً ببعض المؤرخين والرحالين الجازانيين، وآخرهم محمد بن أحمد العقيلي (ق١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م). والناظر في فهرس هذا القسم يجد أربعة رحالين أشاروا إلى جازان من القرن (٣-٨هـ/٩-١٤م). أما الفترة الممتدة من القرن (٩ إلى القرن ١٣هـ/١٥-١٩م) فلم نجد خلالها أي رحالة تعرض لتاريخ هذه البلاد [١]. وفي القرنين (١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م) نجد (١٣) كاتباً أو رحالة تعرضوا لذكر منطقة جازان مع التفاوت والتنوع في مدوناتهم وأطروحاتهم. وهناك بعض الأسباب التي جعلتنا نفرد قسماً مستقلاً في هذا السفر عن بعض المؤرخين والرحالين الذين جابوا وعرفوا هذه البلاد التهامية المهمة، ونذكرها في النقاط التالية:

١. الإشارة إلى أن كتب الرحلات من المصادر الرئيسية في دراسة التاريخ، وهذا النوع من المدونات تحتوي على حقائق وتفصيلات تاريخية وحضارية قد لا توجد في غيرها من المصادر والمراجع. ولهذا نلفت أنظار الباحثين والأكاديميين إلى وجوب الاطلاع على كتب الرحالين لأهميتها، واحتوائها أحياناً على نسبة عالية من الدقة والمصداقية[٢].

٢. نحن على يقين أنه مازال هناك أخبار وروايات نقلها رحالة جابوا منطقة جازان، والبعض من أولئك قد لا يكون اهتمامهم تدوين رحلاتهم، لكنهم كانوا حُجّاجاً أو تجاراً، أو علماء وفقهاء، أو رجال سياسة وحروب، وذكروا بعض مشاهداتهم عن بلاد جازان، ومن ثم دونت أقوالهم من خلال عملهم أو عبورهم تلك البلاد. ونأمل أن نرى في المستقبل من يتقصى هذا الجانب، وقد يخرج لنا معلومات علمية تاريخية لم نجدها فيما عرفنا من مدونات، أو يصحح ما وقعنا فيه من نقولات عن الرحالين المذكورين في هذا القسم.

٣. من يستقرئ حياة كل رحالة أوردنا اسمه وعمله العلمي في هذا القسم يجد تنوع

أو رحالة. لأن الرقم (١٤) والموسوم بـ: بعض المؤرخين والرحالين الجازانيين (ق١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م)، اشتمل على أربعة مؤرخين رحالين جازانيين هم: عبد الله العمودي، ومحمد زارع عقيل، والسيد إبراهيم سالم العمار العريشي، ومحمد أحمد العقيلي.

(١) هناك العديد من الكتب التاريخية اليمنية وغيرها أشارت إلى تاريخ جازان خلال القرون (٩-١٣هـ/١٥-١٩م)، لكن لم أجد فعلاً كتاب رحلات ذكر هذه البلاد في تلك الفترة، ولا يعني أنه لا يوجد على الإطلاق رحالون جابوا هذه المنطقة في ذلك التاريخ. ونأمل أن يظهر في المستقبل من يأتي بما لم نستطع العثور عليه، ويستكمل ما لم نقدر على تدوينه، أو تصحيح ما وقعنا فيه من زلات أو أخطاء غير مقصودة.

(٢) كتب الرحلات لا تتصف بالصدق – دائماً – والحيادية، ولكن الكثير منها تورد معلومات دقيقة ومهمة وربما صادقة، لأن أصحابها شهود عيان.

ثقافاتهم ومشاربهم ومواطنهم، وأحياناً عقائدهم وتوجهاتهم، والأهداف التي جعلتهم يقدمون إلى بلاد جازان . ولهذا الاختلاف والتنوع فائدة عظيمة في إيراد معلومات متنوعة وثرية في أبوابها وتفاصيلها .

٤. إن عرض مثل هذا الجانب المعرفي قد يبعث الحماس عند مثقفي وشباب اليوم وخاصة في منطقة جازان فيدرسون مادون الرحالون الأوائل، ثم يصححون ما وقعوا فيه من أخطاء، أو يسيرون على المنهج الذي ساروا عليه فيدونون انطباعاتهم ومشاهداتهم عن بلادهم . وإن فعلوا ذلك فسوف يفيدون أوطانهم، ويحفظون للأجيال القادمة ما نعيشه اليوم من نعمة وأمن ورخاء، وربما يظهر في المستقبل من يقارن عصرنا الحالي مع عصر من سبقنا، ومن ثم تستخلص الدروس والعبر من تلك المقارنات والتحليلات .

ثانياً : التعريف بالرحالة ومدوناتهم :

١- الحسن بن أحمد الهمداني (ق٣-٤هـ/ ٩-١٠م) :

الهمداني أقدم وأشهر الرحالة اليمنيين [١] . ويعرف بالنسابة، أو ابن الحائك، ويسمي نفسه بـ (لسان اليمن) ، ويكنى بأبي يعقوب ،ويكني نفسه أيضاً بأبي محمد، ووطنه ومسقط رأسه بلاد همدان [٢] . وقد فصل الحديث عن ديار همدان في كتابه: الإكليل، الجزء العاشر [٣] . ولد عام (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، ولا نعرف شيئاً عن طفولته وبداية حياته المبكرة، أما في شبابه فكان يعمل مع والده وبعض أقاربه في مهنة الجمَّالة التي تقوم على نقل المسافرين من الحجاج والتجار من اليمن إلى الحجاز . وهذا العمل مكنه من التنقل والترحال في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية وخاصة جنوبها، كما سنحت له الفرصة في الالتقاء بالعديد من العلماء وأرباب الفكر والثقافة في اليمن والحجاز وغيرها من البلاد العربية الإسلامية [٤] .

---

(١) لم يبرع هذا العالم اليمني في علم الرحلات فقط، وإنما كان بارعاً في معارف عديدة وبخاصة في علوم الأنساب، والجغرافية، والنحو واللغة والشعر، والمعادن وغيرها . ومن كتبه التي وصلتنا كتاب، صفة جزيرة العرب، وكتاب الجوهرتين، وكتاب الإكليل، وكتاب الدامغة. وهناك كتب أخرى عديدة لم تصلنا . للمزيد انظر: مقدمة كتاب صفة جزيرة العرب، للهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٩٧م)، ص٥-٣٠ .

(٢) المصدر نفسه، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي ٣٢-١٤٣٣هـ/١٠-٢٠١١م)، ج٣، ص٣٢٦ .

(٣) كتاب الإكليل : أهم كتب الهمداني، ويقع في عشرة أجزاء والموجود منها أربعة أجزاء فقط .

(٤) أبو محمد الهمداني (لسان اليمن) يستحق إلى أن يفرد له دراسة أكاديمية، حبذا أن نرى إحدى الأقسام الأكاديمية التاريخية في جامعاتنا السعودية فتخصص هذا الموضوع عنواناً لأطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراة . وهو فعلاً موضوع يستحق وجدير بالبحث والدراسة العلمية الجادة.

نبغ الهمداني وذاع صيته وصار معروفاً عند كثير من علماء القرن (٤هـ/١٠م). حتى أن بعض العلماء أثنى عليه فقال: " إنه لم يولد مثله في اليمن، علماً وفهماً ولساناً وشعراً، ورواية وذكراً، وإحاطته بعلوم العرب من النحو واللغة"[١].

والكتاب الذي يعنينا في هذا القسم هو كتاب: صفة جزيرة العرب[٢]. قامت مادة هذا السفر المهم على الرحلة والمشاهدة لبلاد وسكان الجزيرة العربية، وبخاصة الأوطان التهامية والسروية الممتدة من مدن الحجاز الكبرى إلى أقصى بلاد اليمن الجنوبية[٣].ونلحظ أن منطقة جازان الممتدة من الموسم جنوباً إلى بيش والدرب شمالاً قد نالها بعض الذكر في هذا الكتاب . وإذا قارنا ما أورده هذا الرحالة من تفصيلات عن بلدان تهامة والسراة الممتدة من جازان ونجران إلى الطائف ومكة نجده قد أسهب في الحديث عن تاريخ وحضارة المرتفعات السروية، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن جل أسفاره ورحلاته بين اليمن والحجاز كانت عبر السروات الممتدة من صنعاء وصعدة وبلاد همدان إلى سروات بلاد قحطان، وشهران، ورجال الحجر، وغامد وزهران حتى الطائف ثم مكة المكرمة[٤].

ويتحدث هذا الرحالة عن الحواضر والبلدان التهامية من عدن حتى أجزاء من منطقة جازان الشمالية . وعند مجيئه من ناحية الجنوب دخولاً إلى بلاد جازان قال: " ... ثم الساعد من أرض حكم بن سعد قرية الحكم [٥]. ، والسقيفتان [٦]. قرية لحكم على وادي خلب ويكون بها وبالساعد أشراف حكم بن عبد الجد، ثم الهجر قرية ضمد وجازان، وفي بلد حكم قرى كثيرة يقال لها المخارف. وصبيا، ثم بيش، وبه موالي قريش، وساحله عَشّر وهو سوق عظيم شأنها ... " [٧]. .. ونلحظ من هذا الوصف أنه يذكر أسماء بعض

---

(١) انظر: تقديم حمد الجاسر لكتاب الهمداني، صفة جزيرة العرب للهمداني، ص ١٨ .

(٢) انظر هذا الكتاب تحقيق محمد علي الأكوع، فهي النسخة التي اعتمدنا عليها، وهناك طبعات أخرى عديدة قام عليها محققون آخرون، ولكن تحقيق الأكوع وإشراف الشيخ حمد الجاسر على هذه النسخة جعلها الأجود والأفضل بين جميع النسخ الأخرى المحققة .

(٣) هذا الكتاب في اعتقادي جدير إلى أن يكون عنواناً لموضوع درجة الماجستير أو الدكتوراة في إحدى جامعاتنا السعودية الجنوبية . ونأمل أن نرى أحد طالباتنا أو طلابنا من يتولاه بالدراسة والتحقيق والتحليل.

(٤) هذا ما تم استقراؤه من مادة الكتاب، للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس. " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب " . مجلة الدارة . العدد(٣) . السنة (١٩) (ربيع الآخر والجماديان/ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٧٦ - ١١١.

(٥) لا نجد ذكراً لهذه القرية اليوم . انظر الهمداني، صفة، ٧٥ . حاشية (٤) .

(٦) السقيفتان : أصبحت أطلالاً في وادي خلب . الهمداني، صفة، حاشية (٥) .

(٧) الهمداني، صفة، ص ٧٦ . وبعض البلدات التي ذكرها هذا الرحالة اختفى ذكرها وأثرها، لكن مازال هناك حواضر

نواحي منطقة جازان اليوم الممتدة من مدينة جازان إلى محافظتي صبيا وبيش، ويشير إلى أنهـا ذات قرى كثيرة، وهذا يـدل على كثرة الاستيطان، ولا تخلو من أسواق عظيمة مثل: سوق عثر.

وفي مـكان آخر يذكر تفصيلات عن بعض الديار الجازانية، أو ماعرف ببلاد حكم في عهـده [١]، فقال : " ... بلاد حكـم ... وملوكه من حكم آل عبد الجد وفيه مدن مثل: الهجـر، والخصـوف، والساعد، والسقيفتـين .. وببلد حكم قرى كثـيرة، مثل: العداية، والركوبـة، والمخـارف، ... ووادي عبسـ، ووادي الحيد، ووادي تعشـر.. ووادي خلب ... ووادي ضمـد وجازان وصبيا "[٢]. ثم يعـدد بعض المواطن وأهلها وأخيراً يقول: "... ثم مخلاف عثر: وعثر ساحل جليل، ومدينة بيش"[٣].

ويعـدد الهمداني أسمـاء الأودية التي تتجه غرباً من جبـال السروات وتمر مياهها عـبر منطقة جازان فذكر واديـي جازان وضمد وهما ينحدران مـن جبال بني رازح في بـلاد خـولان باليمن، ثم قال عن هذين الواديـين " .. ويسقيان أرض ضمد وجازان إلى البحـر ... " [٤]. ويذكر أودية أخـرى مثل أودية : صبيا، وبيش، ودفأ[٥]، ويواصل حديثه عن أدوية جازان وبخاصة التي تأتي مصباتها من سروات قحطان وعسير وشهران مثل أوديـة : بيض، وعتود، وريم، وعرمـرم [٦]. وإشارته إلى هذه الأودية. كانت بشكل موجز جداً دون أن يفصل حياة سكانها تاريخياً وحضارياً[٧].

كـبرى في منطقـة جازان قديماً وحديثاً مثل: ضمد، وجازان، وصبيا، وبيش وغيرها . للمزيد عن هذه المدن انظر: عبـد الرحمـن الشريف، جغرافيـة المملكة، ج٢، صـ١٦٥ ـ ٢٢٠، وللمزيد انظر: العقيلـي، المعجم الجغرافي (ط٢/ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ٢٢ وما بعدها .

(١) للمزيد عن تاريخ منطقة جازان منذ فجر الإسلام، ثم عبر العصور الإسلامية . انظر: محمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليمـاني (الرياض : منشورات اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، أحمد عمر الزيلعي: الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجيـة لمنطقـة جازان في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) الهمداني، صفة، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦ . وللمزيد عن أودية جازان " انظر: الشريف، جغرافية، ج٢، ص ١٦٥ وما بعدها .

(٥) المصدر والمراجع نفسهما .

(٦) المصدر والمراجع نفسهما .

(٧) مازالت بلاد جازان تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثقة وبخاصة خلال القرون الإسلامية الأولى.

لا نجد هذا الرحالة يذكر لنا شيئاً عن حياة أهالي منطقة جازان الاجتماعية والاقتصادية، وإنما ذكر طرق الحاج والتجار الذين يخرجون من حواضر اليمن الكبرى عبر تهامة إلى مكة مروراً ببلاد جازان، واقتصر على ذكر أسماء بعض المحطات[١]، ولم يذكر أي شيء عن تاريخ الناس في تلك المراكز[٢] .

ويشير أيضاً إلى لغة أهل جازان ومن حولهم فيذكر أنه لابأس بها في البوادي والأرياف. ثم يقارن مستوى الفصاحة اللغوية عند سكان السروات وتهامة، ثم يقول: "إن أسافل سروات هذه القبائل دون أعاليها في الفصاحة.."[٣].

٢- عمارة الحكمي اليمني (ق٦هـ/١٢م) :

هو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن محمد بن زيدان الحكمي اليمني الملقب نجم الدين الشاعر، فهو من قحطان ثم من قبيلة سعد العشيرة الكهلانية، ولم نجد مصدراً محدداً ذكر سنة ميلاده، ولكن مولده - تقريباً - كان في أوائل العقد الثاني من القرن السادس الهجري، لأنه يذكر نفسه أنه بلغ الحلم سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م)[٤]، ويذكر أيضاً أن مولده كان في قرية الزرائب من بلاد بيش[٥]. والمتأمل في حياة وإسهامات عمارة يجده فقيهاً، شاعراً، واعظاً، بل عمل أحياناً سفيراً لبعض القوى السياسية في عصره[٦]، وقد يسأل القارئ، لماذا أدرج ضمن الرحالة ؟ وفي هذا الجزء الخاص بمنطقة جازان . ونقول إن هذا العالم الحكمي اليمني يعد من الرحالين الأوائل فلقد رحل في طلب العلم وكسب لقمة العيش إلى كل من زبيد

---

(١) ذكر خمس محطات بمنطقة جازان على طريق صنعاء مكة عبر تهامة، وتلك المحطات هي " بلد حكم، ثم الهجر، ثم عثر، ثم بيض، ثم زنيف " . وعلى طريق عدن إلى عثر حتى مكة أشار إلى بعض المعالم في بلاد جازان مثل: الشرجة (الموسم)، وعثر (بيش) . الهمداني، صفة، ص٣٤٢ .

(٢) كما أشرنا سابقاً، لم تنل منطقة جازان رعاية كبيرة عند هذا الرحالة، والذي حاز على نصيب الأسد في شروحاته هي البلدان السروية الممتدة من صنعاء إلى الطائف . .

(٣) الهمداني، صفة، ص ٢٧٩ .

(٤) هناك العديد من كتاب التراث الإسلامي مثل: ياقوت الحموي، وابن خلكان، والسيوطي، والمقريزي، والخزرجي. والجندي أوردوا ترجمة لعمارة . للمزيد انظر، كتاب تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)، لنجم الدين عمارة اليمني (صنعاء : المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، مقدمة محقق الكتاب محمد علي الأكوع، ص٣١ - ٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣ .

(٦) للمزيد انظر: مقدمة الأكوع في كتاب : المفيد، ص٣١ وما بعدها، عبد الله محمد الحبشي . الرحالة اليمنيون (رحلاتهم شرقاً وغرباً) (صنعاء : مكتبة الإرشاد، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٧ - ١٨ .

وعـدن في اليمـن، وإلى مكة المكرمة في الحجـاز، ثم إلى مصـر[١]، ووصلنا بعض نتاجه الأدبـي والفكري[٢]، ولكن كتابه: تاريخ اليمن، المسمى:المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، هو مـا سوف نعتمد عليه في هـذه الدراسة، لأنه فَصَّل الحديث فيه عـن جوانب من التاريخ السياسـي والحضـاري في بلـدان اليمـن[٣]، ولا يخلو هـذا الكتاب من بعض المعلومات الجديـدة والقيمة عن أجـزاء من بلاد جازان، فهو يشـير إلى سليمان بن طرف، حاكم منطقة جازان في القرن (٤هـ/١٠م)، فيقول: "... وممن امتنع من أعمال؟ (أبي الجيش بن زياد)[٤] سليمان بن طرف صاحب عَثَّر وهو من ملوك تهامة وعمله - أي مساحة إمارته - مسـيرة سبعة أيام في عرض يومين، وهو من الشرجـة إلى حلي[٥]، ومبلغ ارتفاعه[٦] في السنة خمسمائة ألف دينار عثرية، وكان مع امتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب له السكة على اسمه ويحمل إليه مبلغاً من المال في كل سنة وهدايا.."[٧].

وفي مكان آخر من كتابه : المفيد، يذكر بعض الأخبار عنه وعن بلاده ومسقط رأسه صبيـا وبيش وما حولها من منطقة جازان فيشـير إلى غزو علي الصليحي[٨] للمخلاف السليمـاني عام (٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، وقتال أهله وهزيمتهم في معركة الزرائب[٩]، ويقول

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) من كتبه : تاريخ اليمن، وقد طبع ونشر عدة مرات في أوربا والقاهرة واليمن . والنسخة التي اعتمدنا عليها هي طبعة المكتبة اليمنية، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) . وكتاب: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، الذي كتبه أثناء إقامته في مصر .

(٣) أورد هذا الكتاب معلومات أولية عن بعض القوى السياسية في اليمن مثل: تواريخ وأحداث في عصر الدول الزيادية والصليحيـة والنجاحيـة وآل مهدي . كما ذكر العديد من شعراء وأدباء اليمـن خلال القرون الإسلامية الوسيطة . انظر: عمارة، المفيد، ص٤٥ وما بعدها .

(٤) ظهـرت الدولـة الزيادية في تهامة اليمن في أوائل القـرن (٣هـ/٩م)، وكانت تحكم باسم الخلافـة العباسية أجزاء من سهول ومرتفعات اليمن . ويقصد بأبي الجيش، أحد أحفاد محمد بن زياد أول أمير للأسرة الزيادية . للمزيد عن تاريخ الدولة الزيادية في تهامة اليمن انظر: عمارة، المفيد، ص٤٥ وما بعدها، عبد الله الجرافي . المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م)، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٥) الشرجـة : المعروفـة في وقتنـا الحالي بـ (الموسـم) . أما حلي : فهي حلـي بن يعقوب الواقعة اليـوم ضمن منطقة القنفـذة من الناحية الجنوبية. انظر محمد أحمد العقيلـي . التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جازان): نادي جازان الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)،ج١، ص١٨، غيثان بن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/١٦-٢١م)، ص٥٦ - ٧٦ .

(٦) مبلغ ارتفاعه : أي مجموع إيرادات إمارة سليمان بن طرف السنوية .

(٧) عمارة، المفيد، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٨) علي الصليحي، مؤسس الدولة الصليحية التي حكمت أجزاء من بلاد اليمن حوالي قرن من الزمان (٤٣٩-٥٣٢هـ/ ١٠٤٧-١١٣٧م) . للمزيـد عـن هذه الدويلة انظر: عمارة، المفيد، ص٨٣ وما بعدهـا، الجرافي، المقتطف، ص ١١٧ - ١٢٢ .

(٩) الزرائـب لا نجـد لهـا ذكراً اليوم في منطقة جازان، ومن خـلال الإشارات التي ذكرها عمارة نـرى أنها من نواحي المخلاف السليماني وربما كانت ضمن بلاد صبيا وبيش وما حولها . انظر عمارة ، المفيد، ص ١٠٣ .

عـن ناحيـة الزرائب ومـا جاورها بأنها " من أعمال ابن طـرف، وهو الموطن الذي ولدت فيه وبها أهلي إلى اليوم "[١] . وذكر بعض التفصيلات عما حل بأهل الزرائب من هزيمة علـى يـد الصليحي حتى قال : " .. ولم يبـق منهم أحد إلا ألف رجل أجارهم جدي أحمد ابن محمد في حصنه بعكوة، والعكوتين جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما.. "[٢].

ويذكر هذا العالم اليمني شذرات من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لبلاد وسكان الزرائب والعكوتان، فيقول : " .. وجبلي عكاد فوق مدينة الزرائب [٣]، وأهلها باقون على اللغـة العربية من الجاهلية إلى اليوم، ولم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد مـن أهل الحاضـرة في مناكحة ولا مساكنة، وهـم أهل قرار لا يظعنـون عنه ولا يخرجون منـه.. "[٤] . ونستنتـج من هذا النص أن الزرائب مدينة، وعـكاد أو العكوتين قريبتين من هذه المدينة، ثم إن أهل عكاد ذو لغة فصيحة خالية من اللحن، وهم مقيمون في مساكنهم لا يذهبون إلى غيرها دليلاً على رخاء عيشهم ووفرة أموالهم . والناظر في بلدان محافظات صبيـا وبيش اليوم التي ربما كانت توجد بها مدينـة الزرائب وجبلي عكاد، أو (العكوتين) يجدهـا أرض خيرات تتوفر بهـا المزارع والمياه، ومأهولة بالاستيطـان السكاني، بالإضافة إلى نشـاط أسواقها التجاريـة، وموقعها الاستراتيجي الذي يربط بـين نواحي العديد من بلدان تهامة والسراة[٥] .

٣. جمال الدين يوسف بن يعقوب المعروف بـ (ابن المجاور/ق٧هـ/١٣م) :

هـذا الرحالة من أهـل القرن (٧هـ/١٣م)، ويقال أنه من بـلاد الشام، ورأي آخر ينسبـه إلى الفرس، وربما القـول الثاني هو الصحيح [٦] . والـذي يهمنا في هذا القسم الخاص برحلتـه في جزيرة العرب والمسمـى بـ صفة بلاد اليمن ومكـة وبعض الحجاز، ويعـرف أيضـاً بـ : تاريـخ المستبصـر[٧] . وعني بدراستـه بعض المستشرقـين وطبع في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه . والعكوة، تثنى فيقال : (العكوتان) ، جبلان شرقي صبيا أحدهما يعرف بـ (العكوة اليمانية) وآخر بـ (العكوة الشامية) . العقيلي، المعجم الجغرافي، ص٢٩٨-٣٠٠.

(٣) لا نجـد ذكـراً اليوم لاسمي (عـكاد، والزرائب) . أما العكوتان فكما أشرنا سابقـاً مازالت معروفة بهذا الاسم في محافظـة صبيا حتى اليوم . انظـر: العقيلي، المعجم، ص٢٩٨ وما بعدها، أيضـاً مشاهدات الباحث في شهري ربيع الثاني، وجمادى الأول عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) عمارة، المفيد، ص ١٠٣ .

(٥) مشاهدات الباحث في شهري ربيع الثاني وجمادى الأولى (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٦) الناظر في كتاب : تاريخ المستبصر يجد أن ابن المجاور على اطلاع وثقافة جيدة بمعارف وأشعار الفرس، وهذا مما يجعلنا نؤيد الرأي الذي ينسبه إلى بلاد الفرس، أو إلى مشرق العالم الإسلامي.

(٧) تحقيق المستشرق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٥١م) . جزءان .

بعض المطابع الغربية والعربية، والطبعة التي اعتمدنا عليها في هذا القسم هي طبعة مطابع بريل في مدينة ليدن الهولندية عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)[١] . ويقع هذا الكتاب في جزأين في مجلد واحد، وفي (٣٠٣) صفحة من القطع المتوسط [٢]. وقد ذكر هذا الرحالة تفصيلات عما رأى وشاهد وقرأ في كل من حواضر اليمن والحجاز، وبلاد تهامة والسراة، ونواحي من وسط وشرق الجزيرة العربية [٣] .

وعن بلاد جازان، أو المنطقة الساحلية التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جنوبي جازان نجده يورد خمس صفحات عن بعض المواقع الجغرافية، ويذكر معلومات عن العادات والتقاليد والأعراف عند بعض سكان هذه الأوطان التهامية[٤]. وقد حاولت أن أقتبس من أقوال هذا الرحالة لكنني لم أستطع، وذلك لعدة أسباب نذكر منها :

١. أشار إلى بعض المعلومات حول بعض الأعراف والتقاليد التي نسبها إلى بعض نواحي هذه البلاد، وبعد التأمل فيما أورد وجدته لا يتوافق أويقرب مما قرأنا عن تاريخ هذه الديار في مصادر إسلامية قبل وبعد هذا الرحالة[٥] . وأغلب مدوناته لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية السمحة التي عاش ومازال يعيش عليها سكان تهامة. كما ذكر تفصيلات عن بعض العادات التي لا تصدق لما بها من قذف وإساءة لبعض النواحي التي أشار إليها [٦]. وعندما تصفحت كتاب هذا الرحالة من أوله إلى آخره وجدته نال بعض النواحي في الجزيرة العربية بالإيذاء والتعدي على حقوق الناس[٧].

---

(١) المصدر نفسه . وأول من نبه إلى هذا الكتاب في العصر الحديث المستشرق (سبرنجر) في عام (١٢٨١هـ/١٨٦٤م) . انظر: ابن جريس (القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)، ج٣، ص ٣٣٩-٣٤١ .

(٢) انظر الكتاب نفسه (تاريخ المستبصر)، وللمزيد انظر: بشير إبراهيم بشير " ابن المجاور"، دراسة تقويمية لكتابه : " تاريخ المستبصر" بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية"، جامعة (الملك سعود) (١٠-٥ جمادى الآخرة / ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م) . دراسات تاريخ الجزيرة العربية . الكتاب الثاني، ص٤١ - ٦٠ .

(٣) انظر ابن المجاور، المستبصر، جزءان، ص ٣ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه، ح١، ص٥٢ - ٥٧ .

(٥) من يستقرئ العديد من مصادر التراث الإسلامي التي دونت تاريخ وحضارة البلاد التهامية الممتدة من مكة إلى زبيد يجدها منصفة في حفظ حقوق سكان هذه الأوطان، فكانوا على منهج الإسلام، وعلى مذهب الإمام الشافعي، بل تجدهم أصحاب كرم ونخوة ومروءة ونجدة، فكانوا يعيشون على مبدأ الصدق والتعاون وحسن الجوار. وهذه القيم عند ابن المجاور غير مذكورة وإنما سعى إلى ذكر عادات سيئة لا يصدقها العقل ولا تستقيم مع ذوق ومروءة الإنسان المسلم .

(٦) إن مادة كتاب ابن المجاور لا تخلُ من الإيجابيات والسلبيات للعديد من المجتمعات في الجزيرة العربية . ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يتقصى روايات هذا الرحالة بالدراسة والتحليل، ومن يفعل ذلك فسوف يصحح الكثير من التجاوزات والأخطاء التي وقع فيها هذا الرحالة الفارسي .

(٧) المصدر نفسه، ح١، ص٥٢ - ٥٧ .

٢. ذكر شيء من أقوال هذا الرحالة المجوجة والسيئة عن بعض الديار التهامية لا يفيد البحث في شيء، ثم أنني غير مصدق ولا مقتنع بما ذكره من روايات، لأنها غير دقيقة وصادقة، وربما حصل على بعضها من رواة غير أسوياء أخلاقياً وعقدياً، ولو كان حريصاً على توخي الصدق والنزاهة، لكان عمل واجتهد في السؤال والبحث عن الحقيقة، والبعد عن النيل من كرامة وأعراض مجتمعات عربية إسلامية.

٣. من خلال الاطلاع على أقوال الرحالة الذين جابوا الأوطان التهامية من جازان إلى مكة لا نجد أحداً منهم أشار ولو بشكل خفي أو موجز إلى ما ذكر ابن المجاور من سيء الروايات التي سطرها في سفر[١]. وفي استطاعة أي باحث نزيه منصف أن يقرأ ما ذكر، وبخاصة ممن درس أو عرف أعراف وقيم عرب تهامة، ومن ثم يحكم على ما دون هذا الرحالة .

والحسن الذي دونه لنا ابن المجاور أنه أشار إلى بعض المعلومات عن جزيرة فرسان، فذكر أنه شاهدها، وهي عبارة عن مدينتين من بناء الفرس، وأهلها كانوا على تقى وصلاح، ويجري فيها نهر عذب الماء، ثم يقول: " وقد نبت على شاطئ النهر شجر وخضر وحشائش، ويزرع فيها - أي الجزيرة - من جميع الحبوب والخضروات، وعندهم من سائر الدواب الأهلية مثل: البقر والمعز والضأن والإبل والدواب، وعندهم من سائر الأسماك ودواب البحر .."[٢]. وأشار إلى أن طيور السمان كانت تنزل بأعداد كبيرة على شاطئ البحر، ويصيد منها أهل هذه الجزيرة كثير من طعامهم طوال العام[٣].

٤- ابن بطوطة (ق٨هـ/ ١٤م) :

محمد بن عبد الله، ويكنى بأبي عبد الله، واشتهر بلقب ابن بطوطة، ولد في مدينة طنجة على مضيق جبل طارق بشمال المغرب عام (٧٠٣هـ/١٠٣٤م)، جاب العديد من

---

(١) انظر أقوال (١٧) رحالة (مسلمين وغير مسلمين) تحدثوا عن تاريخ وحضارة الأجزاء التهامية الواقعة بين جازان ومكة، وبخاصة منطقة القنفذة . وكل أقوالهم لا تخلو من ذكر سلبيات عديدة، لكنهم جميعاً لم ينزلقوا إلى ما وقع فيه ابن المجاور . وكان بالإمكان وضعه ضمن أولئك الرحالة، لأنه ذكر أجزاء من بلاد القنفذة، ولكن لم يتم ذلك لسوء وعدم مصداقية المعلومات التي حفظها كتاب : تاريخ المستبصر . للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٥٩-٢٣٠ .

(٢) ابن المجاور، ج٢، ص ٢٤٤ .

(٣) المصدر نفسه . ج٢، ص ٢٤٤ .

البلدان في قارات : آسيا وأوربا وإفريقيا، وزار الجزيرة العربية وحج عدة مرات، ومات عام (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) [١].

قضى هذا الرحالة حوالي (٣٠) عاماً اتصل خلالها بكثير من الملوك والأمراء، وفي منتصف القرن الثامن عاد إلى المغرب، وعكف على كتابة رحلته وفرغ من تدوينها في (٣ ذي الحجة عام ٧٥٦هـ/ ديسمبر١٣٥٥م)، وسماها : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، وهذا الكتاب هو الذي رجعنا له في هذا القسم [٢].

وفي إحدى رحلاته من السودان إلى بلاد اليمن نجده ينزل على ساحل البحر الأحمر الشرقي، وفي بلاد حلي بن يعقوب بمنطقة القنفذة [٣]. عام (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، ثم يواصل سيره في البحر جنوباً حتى نزل في بلدة الشرجة (الموسم حالياً)، ويدون لنا معلومات قيمة جديدة، عن تاريخ سكان هذه البلدة، فذكر أنها " ... بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي، وهم طائفة من تجار اليمن، أكثرهم ساكنين بصعدة، ولهم فضل وكرم وإطعام لأبناء السبيل، ويعينون الحجاج ويركبونهم في مراكبهم ويزودونهم من أموالهم، وقد عرفوا بذلك واشتهروا به، وكثر الله من أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير... " [٤].

هذا النص الوحيد الذي وجدناه عند هذا الرحالة المغربي، وذكره بعض الصفات التي كان يتمتع بها أهل الشرجة (الموسم) في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، يدل على أن أهل تهامة أصحاب كرم وإيثار ومروءات وهذا يدحض أقوال ابن المجاور التي وصف بعض نواحيهم بأسوأ الصفات . وإذا قارنا بين الرحالتين من حيث الدقة والصدق في القول، فابن بطوطة شيخ الرحالة، وصاحب مدرسة في الرصد والتوثيق والمصداقية[٥].

---

(١) لقد وقعت في خطأ عندما ذكرت في إحدى مؤلفاتي أن ابن بطوطة مات عام (٧٥٦هـ/١٣٥٥م). وهذا التاريخ هو السنة التي انتهى فيها من تدوين كتابه الرحلة ، أما سنة وفاته الحقيقية فكانت في عام (٧٧٩هـ) . انظر : محمد بن بطوطة. رحلة ابن بطوطة . شرحه وكتب هوامشه طلال حرب (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ط٤، ص١٠٧، للمزيد انظر: ابن جريس، بلاد القفنذة خلال خمسة قرون، ص ١٦٦ .

(٢) انظر: كتاب الرحلة، تحقيق طلال حرب، ص ٨ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن بلاد القنفذة وحلي، انظر: ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص٥٣ وما بعدها .

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٦٤ .

(٥) عن ترجمة حياة ابن بطوطة، انظر المقدمة المدونة في كتاب الرحلة نفسه، ص٥-٢٢ .

٥ + ٦ السير كيناهان كورنواليس، وروبن بدول (ق١٤هـ/ ٢٠م):

هـذان رجـلان إنجليزيـان عاشـا خـلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، فالأول كورنواليس (Sir. K. Cornwallis) أحد رجالات المخابرات البريطانية، أرسلته حكومته إلى الشـرق الأوسـط مـن أجل دراسة أحوالها مـن شتى الجوانب، واستطـاع أن يدون عنها تقريـراً في عام(١٣٣٥هـ/١٩١٦م) رفعه إلى المكتب العربي التابع للاستخبارات البريطانية في القاهـرة[١]، وقد أعيد طبع هـذا التقرير في لغته الرئيسية (الإنجليزية)، ونشر في بعض المطابـع البريطانية والولايات المتحـدة الأمريكية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وخرج في هيئة كتيـب من القطع الصغير، بعنوان: **عسـير قبـل الحرب العالميـة الأولى Asir before) (World War.1** ويقـع في (١٥٥) صفحة،ويحتوي علـى (١٧) فصلاً قصيراً وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا القسم[٢].

أمـا روبن بدويل (R. Bidwell)، فليس رحالة بقدر ما هو أستاذ جامعي أكاديمي بجامعـة كمبردج، وله العديد مـن الدراسات، وقد ترجم بعضهـا إلى اللغة العربية[٣]. ولـه كتاب مـازال باللغة الإنجليزيـة بعنوان: **الشخصـيات العربيـة في مطلع القرن العشـرين**، وقـد قام أحد الباحثـين العسيريين بترجمة الفصلين الثـاني والعاشر، من هذا الكتاب[٤]، وهذه الترجمة مازالت مسودة أولية، ولم تنشر في هيئة كتاب حتى الآن، وجل مادة هذين الفصلين عن تاريخ بلدان وشخصيات في منطقتي جازان وعسير،وهذه المسودة هي التي رجعنا إليها في هذا القسم[٥].

---

(١) للمزيد عن هذا الرحالة، وعن وظيفة هذا المكتب العربي التابع للاستخبارات البريطانية . انظر: مديحة درويش . تاريخ الدولة السعودية خلال الربع الاول من القرن العشرين (الرياض: دار الشروق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،ص١١١ وما بعدها، غيثان بـن جريس: بحوث في تاريخ عسير الحديـث والمعاصر (جدة: دار العويفي للنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٢٤-١٢٥، للمؤلف نفسه، انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص٣٤٤، وبلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ١٨٢ .

(٢) انظـر النسخـة الإنجليزيـة، PP.7ff ، وهـذا الكتـاب ترجم ترجمة شعبيـة إلى اللغـة العربية . منـذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) . وهـذه الترجمـة متداولة بين أيـدي الناس، وقد اعتدي علـى هذه الترجمة من أحـد أبناء منطقة عسـير، وطبعهـا في هيئة كتاب مدعياً أنها من عمله وترجمته، وهذا قول غير دقيق . ونأمل من طالباتنا وطلابنا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد أن يطلعوا على هذا الكتاب وعلى ترجماته، ونتطلع إلى أن يقوم أحدهم باتخاذه عنوانـاً لرسالتـه في درجـة الماجستير، وإذا حـدث مثل هذا الأمر فقد يدرس الكتاب أكاديميـاً ويستفيد منه أكبر شريحة من الباحثين والمؤرخين وطلاب العلم والمعرفة .

(٣) للمزيد عن روبن بدول انظر، كتابه: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية . ترجمة عبد الله آدم نصيف (الرياض: د. ن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٧ وما بعدها، ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص ١٨٢ .

(٤) أ . د إسماعيـل بـن محمد البشري، مدير جامعة الجوف الآن، ورئيس جامعة الشارقة سابقاً، هو الذي قام بترجمة هذين الجزءين ونأمل أن يسعى إلى ترجمة الكتاب كاملاً ونشره .

(٥) يوجـد صـورة من هذين الفصلـين المترجمين، ترجمة أولية، في مكتبة د. غيثان بن جريـس العلمية (قسم البحوث والدراسات غير المنشورة) .

ونجد كورنواليس يذكر بعض الشروحات عن مناخ وتضاريس وتجارات منطقة عسير في عهده [١]. وفي عنوان مستقل سماه : **منطقة الإدريسي**[٢]. ذكر تفصيلات جيدة عن الضرائب التي كان يستوفيها الإدريسي على الصادرات والواردات التي تدخل منطقته وتخرج منها [٣]. ونوه بالتنظيم العسكري من حيث قوته وعدده وأدوات تسليحه في كل من عسير، والقنفذة [٤]، ومنطقة جازان التي يسيطر عليها السيد الإدريسي[٥]. وفي قسم آخر من كتابه يشير إلى سكان السهل الساحلي من الليث إلى بلاد جازان[٦]، ثم يقسم منطقة جازان إلى ثلاثة أقسام:[٧] القسم الشمالي ويضم سكان بني شعبة والدرب وما حولها[٨]. والقسم الوسط ويمتد من بلاد بيش (أم الخشب) إلى أبو عريش[٩]. والقسم الثالث والأخير في الجنوب من أحد المسارحة إلى بلاد ميدي وحرض[١٠]. ويشير بشكل لا بأس به في هذه الأقسام الثلاثة إلى القرى، والأعيان، وأعداد السكان.

وفي جزء آخر من تقريره يذكر ترجمات مختصرة لحوالي (١٥٠) شخصية في مناطق القنفذة، وعسير، وجازان، وغامد وزهران[١١]. ونجد من هذا العدد الكلي حوالي (٣٠) شخصية من منطقة جازان الممتدة من الشقيق والدرب إلى أبو عريش والمسارحة وما جاورها[١٢]. ومن تلك الشخصيات سيد أبو علامة، وعدد من رجالات آل عرار والخواجيين في صبيا[١٣]، وإبراهيم فتح الدين في جازان، وإبراهيم سرحان، ومحمد يحيى باصهي في صبيا، وأحمد مساوي في المسارحة وغيرهم . وجل من ذكرهم قامات اجتماعية أو تجارية أو إدارية أو دبلوماسية في المنطقة الجازانية [١٤].

---

(1) Cornwallis,PP.7-22

(٢) المصدر نفسه، PP.22 - 23

(٣) المصدر نفسه، PP.22 - 23

(٤) المصدر نفسه، PP.26 - 9

(٥) المصدر نفسه، PP.29 - 30

(٦) المصدر نفسه، PP.32 ff

(٧) المصدر نفسه، PP.39 - 42

(٨) المصدر نفسه، PP.39-40

(٩) المصدر نفسه، PP.40 - 41

(١٠) المصدر نفسه، PP.41 - 42

(١١) المصدر نفسه، PP.48 - 103

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) لا زال يوجد حتى الآن أسر رئيسية في منطقة صبيا من آل عرار والخواجيين . مشاهدات الباحث وحولاته في شهري ربيع الثاني وجمادى الآخرة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(١٤) انظر كورنواليس (ط. اللغة الإنجليزية) PP. 84ff

وفي فصل آخر يذكر اسم : **طرق عسير**، ويشير إلى (١٥) طريقاً تصل أبها بغيرها في بلاد عسير وجازان والقنفذة[١]. وهناك طريقان من أبها إلى الدرب[٢]. ، ومن أبها إلى صبيا[٣]. وقد ذكر ما يوجد على الطريقين من قرى رئيسية، وأحياناً يذكر سكان بعض القرى أو المعالم الجغرافية التي توجد على الطريقين[٤].

أما روبن بدول فكان أكثر تنسيقاً لدراسته من كورنواليس[٥]. فقد أورد محورين رئيسين، الأول: عن شخصيات المخلاف السليماني . والثاني: عن سكان أو قبائل المخلاف[٦]. وذكر في **القسم الأول** حوالي (٤٠) شخصية جلهم من الشخصيات التي أوردها كورنواليس . والجميل في تراجم بدول أنه دون تفصيلات مطولة لبعض الأشخاص الذين ذكرهم مثل: محمد يحيى باصهي، ومحمد بن علي الإدريسي وغيرهما. كما أشار إلى معلومات أخرى قيمة حول الوظائف والأدوار التاريخية والاجتماعية لهؤلاء الرجال المترجم لهم[٧].

أما القسم الثاني، الموسوم بـ : **قبائل المخلاف السليماني**، فذكر حوالي (١٣) ناحية في المنطقة الممتدة من الشقيق والدرب إلى بلدة الموسم جنوب جازان، وهي : أهل الشقيق، وقبائل بني شعبة ،وقبيلة نجع (النجوع) ، وأهل صبيا، وقبيلة الجعافرة، وقبيلة بني محمد، وقبيلة المسارحة، وقبيلة جعدة، وقبيلة بني مروان، وقبيلة الخميسين، وقبيلة بني حسن، وقبيلة بني ناشر، وقبيلة بني عبس[٨]. وفي هذه الجزئية يشير الكاتب إلى القرى والشيوخ والأعيان وتعداد السكان والمهن التي يمارسها أهل هذه البلدان، وأحياناً يشير إلى صلاتهم بمن حولهم من العشائر والبلدات[٩].

---

(١) المصدر نفسه، PP.107ff

(٢) المصدر نفسه، 109 - PP.108

(٣) المصدر نفسه، 111 - PP.110

(٤) المصدر نفسه، 111- PP.108

(٥) بدول أستاذ جامعي أكاديمي بخلاف كورنواليس الذي عمل في بلاط السياسة والاستخبارات، والحصول على المعلومات كانت من أهم أهدافه بعكس الرجل الأكاديمي الذي يتبع منهجية علمية في بحوثه ودراساته كروبن بدول .

(٦) انظر المسودة المترجمة من كتاب بدول، ص ١١٠ ـ ١٢٠ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه، ص ١٢١ ـ ١٢٩ . نجد هذا الرحالة أورد اسم قبيلة على الناحية التي ليس فيها إلا القبيلة، أو العشيرة المذكورة . وعند ذكر اسمي: الشقيق، وصبيا، أورد كلمة (أهل) قبل هذين الاسمين، وربما كان السبب في ذلك أن مناطق صبيا والشقيق يقطنها لفيف من الطبقات الاجتماعية مثل: بعض العشائر العربية القحطانية أو العدنانية، بالإضافة إلى عناصر أخرى ربما جاءت إليها منذ زمن طويل . المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

(*) وإذا قارنا بين المعلومات المدونة عن منطقة جازان عند هذين الرحالين كورنواليس وبدول، اتضح لنا ما يلي :

١. أن كورنواليس يعد مصدراً لروبن بدول، لأن بعض المعلومات المدونة عند الأخير منقولة من كورنواليس . مع أن بدول أضاف بعض التفصيلات الجديدة والخاصة بتراجم بعض الشخصيات، أو الحياة العامة عند بعض القبائل أو النواحي التي أشار إليها .

٢. كورنواليس اطلعنا على تفصيلات جديدة وقيمة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في جازان خلال سيطرة الحكومة الإدريسية عليها . وكذلك بدول، لكن كورنواليس أفضل وأوسع .

٣. هذان الرحالان حفظا لنا معلومات تاريخية جديدة وجيدة ومن الصعب أن نحصل عليها عند غيرهما خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). ونأمل أن نرى كتابيهما المذكورين في هذه الصفحات مترجمين محققين باللغة العربية حتى يستفيد منهما الباحثون في البلاد العربية .

٤. الحواضر والنواحي الساحلية والسهلية في منطقة جازان من الشقيق إلى أحد المسارحة كانت البلاد المذكورة في مدونات هذين الرحالتين . ولم يكن للأجزاء الجبلية الجازانية ذكر عندهما، مع أن هذه المرتفعات مأهولة بالسكان، وجميع المقومات الحضارية[١].

٧. أمين الريحاني (١٤٠٠هـ/٢٠م)[٢].

هو أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف بن عبد الأحد البجاني، ويعرف باسم (الريحاني) نسبة إلى نبات الريحان، ولد في قرية الفريكة بلبنان عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، بدأ تعليمه في لبنان ثم سافر إلى أمريكا وهو في الحادية عشرة من عمره ،عمل في التجارة، ثم عاد إلى لبنان عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، وتردد بين الشام وأمريكا حوالي ثماني مرات خلال خمسين عاماً (١٣٠٦-١٣٥٧هـ/ ١٨٨٨-١٩٣٨م)، وزار نجداً والحجاز واليمن والعراق ومصر وفلسطين والمغرب والأندلس ولندن وباريس[٣].

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة جازان خلال شهري ربيع الثاني وجمادى الأولى (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) للمزيد عن ترجمة الريحاني، انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) ط٦، ج٢، ص١٨-١٩ .

(٣) المصدر نفسه .

للريحـاني العديد من الكتب باللغتين العربية والإنجليزيـة، ومن مؤلفاته بالعربية في التاريخ: **فيصل الأول، وتاريخ نجد الحديث، ونبذة في الثورة الفرنسية**. وفي المقالات السياسية والاجتماعية والفلسفية: **القوميات**، جزءان. **والريحانيات**، جزءان. وفي النقد الأدبي والمقالات الأدبية والشعر والرواية والقصة: **أنتم الشعراء**، **أدب وفن**، **وقصتي مع أمـي، وهتـاف الأودية، وزنبقة الغور، ووفاء الزمان**. أما في علم الرحلات فله العديد من الكتب مثل: **نور الأندلس، وقلب العراق، وقلب لبنان، وملوك العرب**[١].

والكتاب الأخير (ملوك العرب) في جزءين[٢]. ناقش فيه مؤلفه ما رآه وعرفه أثناء مقابلتـه أئمة وملوك وأمراء الجزيرة العربيـة في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٣]. والذي يهمنا في هذا القسم هو منطقة جازان ومقابلته للسيد الإدريسي في مدينة جازان، وقد أفرد حوالي(١٦٥) صفحة من الجزء الأول تحدث فيها عن بلاد الإدريسي الممتدة مـن الحديدة واللحية في تهامة اليمن إلى صبيـا وبيش وأجزاء من تهامة عسير، وعرج في شروحاتـه إلى منـاخ وتضاريس هذه البلدان، وذكر شيئـاً من تاريخ وصول الصوفية والتصـوف إلى بـلاد الإدريسي وإمام اليمن، كما أشـار إلى بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في بعض الأجزاء التهامية الواقعة بين جازان والحديدة[٤].

وفي عنـوان مستقل سماه: **جيـزان**، في حوالي(١١) صفحة ذكر وصوله إلى ميناء جازان ومعه بعض الرفاق، وما جرى لهم من استقبال وضيافة من قبل رجالات الإدريسي، وما شاهد في بلدة جازان من منازل القش وبعض القلاع والحصون والمساجد التي كانت في بعض نواحيها[٥]. ثم يورد وصفاً لأهمية مدينة جازان الاقتصادية والتجارية، فيقول: " كانـت جيـزان .. المدينـة الوحيدة في تهامـة المفتوحة للتجـارة. وكان القسم الغربي مـن شبـه الجزيرة أو جلـه يستقي من مواردها، فـكان ميناؤها ميناء البـلاد كلها. ثم

---

(١) المصـدر نفسـه، انظر أيضاً: قائمة بأسماء مؤلفات الريحاني في نهاية بعض مؤلفاته مثل كتاب: ملوك العرب، ج٢، ص ٩٥٨-٩٥٩.

(٢) وعنوانـه: ملـوك العرب (رحلة في بلاد العرب) (بـيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م)، ط٢، جزءين في (٩٥٩) صفحة من القطع المتوسط. للمزيد عن الريحاني انظر مقدمة هذا الكتاب.

(٣) قابـل الريحـاني حوالي ثمانية ملوك وسلاطين هم: الملك حسين بن علي في الحجاز، والإمام يحيى بن حميد الدين في اليمن، والسيد الإدريسي في جازان، وسلاطين مشايخ لحج في اليمن، وعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في نجـد، وأحمـد آل الصباح في الكويت، وآل خليفة في البحرين، والملك فيصل بن الحسين في العراق. المصدر نفسه، ص٢١ وما بعدها.

(٤) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٣٤-٣٣٥.

انتقلت التجارة إلى ميدي. أما اليوم فجيزان هي إحدى عاصمتي الإدريسي[١]. وهذا أول مصادر الخير فيها، هي نقطة دائرة خصبة أنحاؤها، غضة حواشيها، يؤمها الناس من المغرب الأقصى ومن مصر ومن أعالي عسير ومن المدن في تهامة جنوباً وشمالاً، فيأتي معهم الرزق، التجارة والكسب والخيرات، يحمل الحنطة إليها تجار ميدي وأبناء الجبال، ويحملون من معادنها الملح ومن شواطئها البضاعة التي تأتي بها بواخر القهوجي والسنابيك[٢]. جيزان مركز استيراد وتوزيع، جيزان مورد تجري إليه الأموال من هذه الجهة ومن تلك، فتتوزع منه إلى الجهات كلها، وهكذا تعيش جيزان من لاشيء يرى، وتضيف فوق ذلك السادات والعربان، وتغدق على كل محترم كسلان "[٣]. ومن هذا الوصف يتضح لنا أهمية ميناء جازان التجاري ليس لمنطقة جازان فحسب وإنما لنواحي عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وقد ذهب الريحاني مع رفاقه في أزقة جازان حتى وصلوا إلى منزل السيد الإدريسي في البلدة نفسها[٤]. ونوه هذا الرحالة بتواضع الحياة العمرانية والحضارية في هذه المدينة. وعند مقابلتهم للسيد الإدريسي أشار إلى بعض الحوارات التي دارت معه وكانت تجمع بين الجانب السياسي والثقافي والاجتماعي، ثم عرج على ذكر بعض الملامح والأوصاف الخَلْقِية للسيد الإدريسي، وأخيراً خرج ببعض الانطباعات الحسنة عنه[٥].

٨ـ ك . س . تويتشل (ق١٤هـ/ ٢٠م) :

تويتشل أمريكي جاء إلى الجزيرة العربية في العقود الوسطى من القرن(١٤هـ/٢٠م)، وحصل على استضافة ورعاية ودعم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وكان من مهماته البحث عن المياه والمصادر الطبيعية في الجزيرة العربية، وقد قام بالعديد من الرحلات في نواحي عديدة من البلاد السعودية، ثم جمع مشاهداته وانطباعاته في كتابه الموسوم بـ : **المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية**، نشر باللغة الإنجليزية عام (١٩٤٧م[٦]، وترجمه الأستاذ شكيب

---

(١) بلدة صبيا / عاصمة الإدريسي الثانية، بل هي العاصمة الرئيسية لإمارته .

(٢) هذا نوع من أنواع السفن التي كانت ترسو في ميناء جازان، والسفن التجارية الاقتصادية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) تغدو وتروح في ميناء جازان والقنفذة وجدة .

(٣) الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٤) كان مقر الإدريسي الرئيسي في صبيا، وله مقر آخر في مدينة جازان، وهو يتنقل بين المكانين من وقت لآخر.

(٥) الريحاني، ملوك، ج١، ٣٣٧-٣٤٢ . ومن تلك الانطباعات الفصاحة التي كان يتمتع بها الإدريسي، إلى جانب كرم أخلاقه، وحسن تحاوره، وصدق تعامله، المصدر نفسه ٣٣٩-٣٤٢ . وفي مكان آخر يذكر الريحاني شدة حرارة الشمس والرطوبة في مدينة جازان . ولم يذكر لنا أي شيء عن نواحي منطقة جازان الأخرى، والثابت أنه لم يصل إلا إلى مدينة جازان فقط . المصدر نفسه، ج١، ص ٣٤٣-٣٤٤ .

(٦) تعاون إدوارد . ج . جورجي مع تويتشل في تصنيف هذا الكتاب وجمع مادته العلمية، وقد ورد اسمه مع تويتشل على غلاف الكتاب، مع أن شهرة هذا الكتاب تحت اسم تويتشل وليس إدوارد جورجي .

الأموي إلى اللغة العربية، ونشرته دار إحياء الكتب العربية في القاهرة عام(١٩٥٥م) . وهذه النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب[١] . وقد تحدث هذا الرحالة عن مدينة جازان، فقال إنها: "عاصمة تهامة في إقليم عسير[٢] . وكانت مبنى الأدارسة في زمن ما. وجيزان تقع على قمة خليج يكتنفه المد والجزر العنيف الذي يتحول أحيانا إلى جزيرة شبه حقيقية. وهناك قلعة حجرية تجثم على أعلى رابية مشرفة ترتفع (١٠٠) قدم فوق الماء. ومقر الحاكم مبنى من الحجر، وحوالي نصف مساكن المدينة . والباقي بسقوف مصنوعة من القش والجدر الخشبية[٣] . وتوجد حركة تصدير واستيراد هامة بين اليمن وموانئ البحر بمحاذاة ساحل جيزان، وصانعو السفن ماهرون جدا في بناء السنابيك وإصلاحها، ويستعملون الأخشاب المقوسة ليصنعوا منها المراكب التي تمخر عباب البحر. وهناك في حفر مكشوفة بالقرب من الطرف الجنوبي من جيزان توجد صناعة أخرى ناجحة، هي استخراج حجر الملح، وقد اقترح إدخال تحسينات باستخدام أساليب حديثة لاستثمار الملح وتعدينه، وتنفيذ ذلك يتوقف على التقدم الجوهري المنشود . على أن اتصالات هذا البلد الواسع النطاق بقرى جزيرة فرسان في الغرب، وبأبي عريش في الجنوب الغربي. واتصالها بمراكز السكان في صبيا وتهامة، كل هذه الأسباب تدل على أن لجيزان كل المؤهلات والعوامل لنموها وتقدمها .."[٤].

وفي فصل آخر بعنوان: طرق المواصلات، يشير إلى العديد من الطرق المستخدمة في البلاد السعودية في النصف الثاني من القرن(١٤هـ/٢٠م)، ويذكر طريق جدة جازان المحاذي لساحل البحر الأحمر، وكان في عصره رديئاً جداً، ويقترح إجراء البحث عن فتح طرق من الحجاز إلى جازان بمحاذاة سفوح جبال السروات الغربية، أو من بلاد السروات نفسها [٥].

---

(١) للمزيد عن هذا الكتاب وهذا الرحالة . انظر الكتاب المترجم نفسه، وانظر ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمس قرون، ص١٩٧ وما بعدها، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)، ج٢، ص ٣٦٠.

(٢) جاء تويتشل إلى منطقة جازان في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م ومن ثم فالوضع الإداري في أبها وجازان وما حولهما مازال غير مستقر ومنتظم . ولهذا نجده يذكر وضع جازان الإداري في تلك الفترة فيقول: "منطقة عسير تهامة، ومركز إدارتها جازان وحاكمها خالد السديري .."، ويذكر بعض مدنها الرئيسية مثل: الدرب، وبيش، وأبو عريش . ويذكر مرتفعات عسير ومركز إدارتها أبها وحاكمها تركي السديري ويشير إلى العديد من النواحي التابعة لها . انظر: تويتشل، المملكة العربية السعودية، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) للمزيد عن العمارة التقليدية في منطقة جازان انظر، الدراسة الثانية عشرة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، انظر أيضا ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص٤٩-٥٣ .

(٤) تويتشل، المملكة العربية السعودية، ص٧٧-٧٨ . والناظر إلى منطقة جازان اليوم يجدها قد حظيت باهتمام كبير من الدولة حتى أصبحت تضاهي غيرها من المناطق الكبرى في المملكة ،وهي سائرة إلى الأمام في تطورها وتقدمها الحضاري (بإذن الله تعالى) . مشاهدات الباحث خلال شهري ربيع الآخر وجمادى الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٥) كانت طرق المواصلات في عموم البلاد السعودية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) رديئة جداً، ولم تفتح الطرق وتتحسن المواصلات في عموم المملكة العربية السعودية إلا منذ العقود المتأخرة في القرن الهجري الماضي . والمتجول اليوم في أنحاء منطقة جازان أو في عموم جنوبي البلاد السعودية يجدها مربوطة بشبكة طرق ممتازة، وجميعها مسفلتة وتقوم وزارتي المواصلات والبلديات على تفقدها وصيانتها باستمرار .

٩ ـ هاري سانت جون فلبي (ق١٤هـ/ ٢٠م) [١].

فلبـي إنجليزي الجنسيـة، جاء إلى الجزيـرة العربية عام (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، ومكـث فيها حـوالي (٤٠) عامـاً، اتصل خلالها بالملـك عبد العزيز بـن عبد الرحمن آل سعود، وزار معظم أجزاء جزيرة العرب، وألف عنها العديد من الكتب والدراسات[٢]. وكتابـه: **مرتفعـات الجزيرة العربية**، هـو الذي يهمنا في هـذه الدراسة، طبع باللغة الإنجليزيـة عام (١٩٧٦م) في(٧٧١) صفحـة من القطع المتوسط، كما ترجم إلى اللغة العربيـة وطبع عن طريـق مكتبة العبيـكان بالرياض عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) . وهذه النسخـة المترجمـة تقع في مجلديـن كبيرين مـن (١٤٤٩) صفحة، وهـي النسخة التي سـوف نعتمد عليها في كتابنا هذا [٣]. تقع في ستـة أبواب، في (٣٣) فصلاً. وفي البابين الخامس والسادس خصص (٤٤٤) صفحة تحدث فيها عن نواحـي عديدة من بلاد جـازان . ففي البـاب الخامس الموسوم بـ: **مرتفعات تهامة**، ذكر فيه خمسة فصول من (٢٤-٢٨) . وفي البـاب السادس خمسة فصول أخرى من(٢٩-٣٣)[٤]. وفي هذه الفصول العشـرة تحدث عن مناطق بيش وصبيا ومدينـة جازان، كما أشار إلى تفصيلات جيدة عن الجبال الجازانية والحدود بين اليمن والسعودية في المرتفعات وعند سفوح الجبال، ثم أورد الكثير من المعلومات عن السهول التهامية الجازانية من حدود السهل، مع بلاد اليمن إلى نواحي الشقيق والقحمة وذهبان على الحدود الجنوبية لمنطقة القنفذة[٥].

---

(١) للمزيد عن حياة فلبي، انظر: اليزابيث مونرو : فيلبي العرب (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٣٠٧ وما بعدها، ج. د . نورتون " فيلبـي رجـل الجزيرة العربية " مجلة دراسـات الخليج والجزيرة العربية . (الكويت. عدد (٣) جمادى الآخرة (١٣٩٥هـ، ص١٥١ـ ١٥٩ .

(٢) المرجعان نفسهما. ويقول عنه حمد الجاسر" الحقيقة التي يجب أن تقال، هي: إن فلبي أسدى للجزيرة العربية يداً قصر عن مدها إليها من سواه "مجلة العرب، للمزيد انظر: غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية (جازان : نادي جازان الأدبي، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، ص ١٤٨ .

(٣) هـذه النسخـة العربية قمنا علـى مراجعتها وتدقيـق معلوماتها، وكتبنا تقديمـاً لها في (٧) صفحـات . أما فلبي نفسـه فقـد أخرجنـا عنه العديد مـن الدراسات المنشورة في كتـب وبحوث علمية محكمة . انظـر: ابن جريس، القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص٣٤٨ ـ ٣٥٢، للمؤلف نفسـه، بلاد القنفذة خـلال خمسة قرون، ص ١٩٢ـ ١٩٦. انظـر أيضـا: ابـن جريس " جنوبي البـلاد العربية السعوديـة في كتاب مرتفعـات الجزيرة العربية لفلبـي " . ندوة اتحـاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١١-١٢/١٠/١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٥هـ /١١/٢٠٠٤م). نشر هـذا البحـث في كتـاب الندوة الذي عنوانه : العالم العربـي في الكتابات التاريخيـة المعاصرة . حصاد (١٢) (القاهـرة/١٤٢٥هـ) ،ص٢٤١ـ٢٧٦.

(٤) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٢، ص٨١٧ـ١٢٦١ .

(٥) المصـدر نفسـه . وهذه التفصيـلات التي وصلتنا من هذا الرحالة القدير تعود إلى عـام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م) . وهي السنـة التي أنجز فيهـا فلبي رحلته في جنوبي البلاد السعودية، وفي أجزاء من بـلاد اليمن مثل: مأرب، وصدر عن تلـك الرحلة كتابـان هما : بنات سبأ، ومرتفعات الجزيـرة العربية، انظر، ابن جريس، دراسـات في تاريخ إفريقيا والجزيـرة العربيـة، صـ١٤٥ ـ ١٨٨ انظر أيضاً صفحات التقـديم في النسخة العربية من كتـاب: المرتفعات، مكتبة العبيكان، ج١، ص٩ـ١٥ .

(*) وفي ضوء التفصيلات التي ذكرها هذا الرحالة عن منطقة جازان في الأجزاء الجبلية والتهامية نلخصها في النقاط التالية :

١. نزل إلى بلاد جازان من سروات قبائل قحطان ووادعة، ثم ساح في عموم منطقة جازان وذكر أحوالها الجغرافية مثل: طبيعة التضاريس المختلفة من جبال وأدوية وسهول وسواحل بحرية، وأشار إلى اختلاف مناخ الأجزاء الساحلية والسهلية عن المرتفعات الجبلية في الجهات الشرقية والشمالية من المنطقة . ولم ينس ذكر مصادر المياه والثروات الحيوانية والنباتية في نواحي عديدة من البلاد[١].

٢. ذكر سيطرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سياسياً وإدارياً ومالياً على منطقة جازان، وأشار إلى أسماء بعض رجالات الحكومة السعودية في مدن جازان الرئيسية من أحد المسارحة وجازان جنوباً إلى بلدة القحمة شمالاً . وكان من جل مهماته في تلك الرحلة الوقوف على الحدود السعودية اليمنية، وقد فعل ذلك في سواحل وسهول ومرتفعات جازان، وأشار إلى القبائل التي كانت تعيش على الجانبين (السعودي واليمني) مع توضيح مواقف الدولتين من تلك الحدود والسكان القاطنين حولها، وأشار أيضاً إلى تركيبة القبائل السياسية وبخاصة البدوية منها التي تقوم حياتها على التنقل والترحال، وكيفية الأعراف والعادات السائدة بينها، التي كانت الضابط الإداري والسياسي الذي يضبط طريقة التعامل فيما بين أفرادها [٢].

٣. تعرض لبعض الصور الاجتماعية في البلاد الجازانية، وذكر أن الطابع القبلي هو السائد على عموم المنطقة، وأشار إلى العديد من البطون والعشائر مثل: آل تليد، والعبادلة، وبني حريص، والعليلين، وبني مروان وغيرهم[٣]. وذكر بعض بيوت الأشراف في مدن جازان وصبيا وبيش وغيرها . ولم ينس أسماء بعض العشائر القاطنة في البلاد الممتدة من صبيا إلى القحمة والبرك[٤]. وأشار أحياناً لأنساب بعض القبائل وفروعها، كما فعل مع عشائر فيفا وبني مالك وغيرهم، ولكنه لم يكن موفقاً في ذكر المعلومات الصحيحة حول أنساب بعض هذه العشائر، بل خلط بعضها ببعض، وأحياناً يذكر أنساباً غير صحيحة لفروع بعض القبائل، وهذا ما لمسناه أثناء مراجعة الكتاب وتدقيق معلوماته مع سكان تلك القبائل في مواطنها

---

(١) قلبي، المرتفعات، ج٢، ص ٨١٧ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . ج ٢، ص ٧٩٣ وما بعدها . ومعظم هذه القبائل تقطن الأجزاء الجبلية من بلاد جازان .

(٤) المصدر نفسه . ج٢، ص ٨٢٠ وما بعدها .

الرئيسيـة[١]. ومن الجميل في كتاب فلبي أنه يذكـر بعض الإحصائيات لعدد أفراد بعـض العشائـر أو المدينـة أو القرية الواحـدة، فذكر أن سكان أبـو عريش يقدرون بـ (٢٢,٠٠٠) نسمـة[٢]، وكذلك فيفا وصبيا يقدر عدد سـكان كل ناحية من هذه المناطق بـ (٢٥,٠٠٠) نسمة[٣]. وهذه الإحصائيات ربما لا تكون دقيقة، لكن ذكرها يعـود إلى دقة ملاحظة هـذا الرحالة واهتمامه بتدوين معلومـات دقيقة وهامة[٤]. وغالبية المجتمع الجازاني يعيشون عيشة الكفاف، وربما كان معظمهم تحت خط الفقر، لقلـة الموارد الاقتصادية التي يعتمدون عليها، ومعظمها محلية من زراعة ورعـي وصيد وتجارة، إلا أنه كان يوجد في المدن وبخاصة المراكز الحضارية مثل جـازان وصبيا من الأعيان والتجار وموظفـي الدولة كالأمراء والقضاة وغيرهم، وهـم يعيشون في مستوى معيشي أفضل من غيرهم مـن عامة الناس . وقد أشار فلبـي إلى بعضهم، مثل : أمير جازان محمد بـن ماضي، والبهكلي وغيرهما [٥]، ونجـد كتاب : **المرتفعات**، يحتوي على معلومات قيمة عن وصف القرى والمنازل، وأنواع الأطعمـة والأشربة والألبسة والزينة التي كانت عند سكان منطقة جازان. ولم تقتصـر شروحات هذا الرحالة على العموميات، فهو أحياناً يصف المنزل، سواءً كان من القش أو الحجارة، وكذلك أنواع بعض الأطعمة والأشربة فهو يفصل الحديث عن أشكالها ومذاقها وطريقة تقديمها، وكذلك الوضع نفسه مع اللباس والزينة [٦]. والـذي جعـل فلبي يصل إلى هـذا المستوى الجيد في وصف الأشيـاء، هو ما امتاز به من إمكانـات شخصية وثقافية في دقة الرصد لما يشاهد، ثم كفاءته وقدرته العلمية كانـت أيضاً مساعداً إيجابيـاً . كما كان يحظى بقدر كبير مـن الرعاية والاستقبال عنـد الجازانيين وغيرهـم في جنوبي البـلاد السعودية، لصلته بالملـك عبد العزيز آل سعـود، ومـن ثم فهو يستطيـع مشاهدة ما بداخل البيوت التـي يدخلها ومعظمها لأعيـان ووجهـاء البلاد، كما أنـه يستطيع أن يتجـول بحرية تامة في المـدن والقرى

(١) أثنـاء تجوالنـا في منطقة جازان من أجل التأكد من معلومات فلبي في كتابه : المرتفعات، اتضح لنا تداخل بعض العشائر والقبائل في نواحي عديدة من بلاد جازان، بل إن أهل البلاد أنفسهم يقولون ذلك ويؤكدون عليه .

(٢) فلبي، المرتفعات، ج٢، ص ٨٦٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) نجـد رحالـة آخرين مثـل كورنواليس وبدول وغيرهمـا يذكرون أحيانـاً إحصائيات السكان في بعض النواحي من منطقة جازان، لكن مثل هذه المعلومات ربما تكون غير دقيقة وتحتاج إلى دراسة وتحليل .

(٥) فلبـي ، مرتفعـات، ج٢، ٨٢٥ ومـا بعدها . وهؤلاء الأعيـان وأمثالهم كانوا يمثلون طبقة المجتمع الجـازاني الأرستقراطي لما يمتلكونه من وجاهة ومال وصلات اجتماعية مع عامة الناس ومع الملك عبد العزيز ورجال حكومته .

(٦) فلبي، المرتفعات، ج٢، ص٨٣٠ وما بعدها . .

والأسـواق دون أن يتعرض له أحد بأذى[١] ، ولم يغفل فلبي ذكر بعض العادات عند الجازانيـين، فقد أبدى استغرابه من سكان قرى الدرب وبيش التي لا يأكل أهلها البيضـ والدجـاج [٢]. كما أشار إلى جلسات تعاطي القات في مدينة جازان، التي تستمر لعدة ساعات، وقد شارك فيها، لكنه لم يستسغ أكل القات وجلساته[٣].

٤. للأوضاع الاقتصادية، من رعي وصيد وزراعة وتجارة وصناعات تقليدية ذكر في كتاب هذا الرحالة، فهو مليء بالمعلومات التي تصب في خدمة هذه الميادين . كما أن الأحوال الإدارية والمالية، وبعض اللمحات التعليمية والثقافية الفكرية قد نالت بعضـ النصيب عند فلبي، الـذي لم يقتصر في معلومات كتابه على جانب معرفي دون الآخر، وإنما الناظر في مادة هذا السفر الكبير يجدها لا تخلُ من أي جانب من جوانب التاريخ والحضارة التي كانت تعيشها منطقة جازان وغيرها في بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) [٤].

١٠ ـ محمد عمر رفيع (ق١٤هـ/٢٠م):

الأستـاذ ابـن رفيع من أهل مكـة، جال في العديـد من بلدان العالم خـلال العقود الوسطـى من القـرن (١٤هـ/٢٠م) [٥]، ثم أرسل من قبـل معتمدية المعارف ضمن بعثة تعليميـة إلى مدينـة أبها في عسير عام (١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م)، وسلك مع رفاقه الطريق الجبلية من الطائف إلى أبها عبر بلدة بيشة[٦]. وتولى وظيفة مدير مدرسة رجال ألمع[٧]،

---

(١) حظـي فلبـي برعاية كبيرة من الملـك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وهذا ممـا مكنه من التجوال في عموم البـلاد السعوديـة، ومن ثم حفظ لنا الكثير من تاريخها وتراثها، والفضل يعـود لله أولاً ثم للملك عبد العزيز الذي احتضنه ورعاه وقدم له جميع الخدمات اللازمة لإنجاز رحلاته المتعددة.

(٢) فلبي، المرتفعات، ج٢، ص ٨٩٠ ـ ٨٩١ .

(٣) المصـدر نفسـه . شجرة القـات من الأشجار المنتشـرة في اليمن ومنطقة جـازان، ويتناولها الكثـير من سكان تلك النواحي، لكن أضرارها وسلبياتها كثيرة .

(٤) انظـر فلبـي، المرتفعات، ج٢، ص٨٢٠ وما بعدها . إن هذا الكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية، يستحق أن يفرد له كتـاب علمـي، أو رسالة دكتوراة تقدم في أحد أقسام التاريـخ الأكاديمية في جامعاتنا السعودية . ونأمل أن نرى هذا الاقتراح يتحقق على يد أحد طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية الجنوبية .

(٥) انظر مقدمة محمد رفيع في كتابه: في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ) (الطائف: مكتبة المعارف، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص ٦.١ .

(٦) المصـدر نفسه، صـ ٥ ـ ٨ . وبيشة من حواضر الجنوب الرئيسية، وكانت حلقة الوصل بين أبها وخميس مشيط وبين الطائـف . بـل كانت السيارات تجـد صعوبة في الطريق من بيشـة إلى خميس مشيط بعكس الطريـق من بيشة إلى الطائـف . المصـدر: ما قرأته في العديد من الوثائـق والمدونات، وما سمعناه من كبار السـن الذين عاصروا العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٧) للمزيد من التفصيلات عن محمد رفيع . انظر: ابن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)، ج١، ص٢٥٤-٢٥٦ .

وقـام بالعديـد من الرحلات في منطقة عسير وأجزاء مـن منطقة جازان، ثم جمع تلك الرحـلات في كتاب سماه: **في ربوع عسـير (ذكريات وتاريـخ)** [١]. وهذا كتاب يقع في حوالي (٣٠٠) صفحة من القطع المتوسط، وهو الذي اعتمدنا عليه في مبحثنا هذا. [٢].

هـذا الكتاب يتكون من قسمين في مؤلف واحد، القسم الأول (١٧٠) صفحة يحتوي على رحلات محمـد رفيع[٣].والقسم الثاني خلاصة التاريـخ السياسي العسيري خلال القرن(١٣هـ/١٩م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ / ٢٠م)[٤]. ومن ثم فالقسم الثاني لا حاجـة لنـا به، لأن جل مادته معروفـة ومنشورة في عشرات الأبحـاث والدارسات[٥]. والـذي نرغـب في معرفته هي المادة العلميـة الخاصة بمنطقة جـازان في القسم الأول، وقـد أخـذت حيزاً بلـغ (٥٠) صفحة من إجمـالي صفحات هذا القسم . بـدأ ابن رفيع رحلتـه في شهـر ذي القعدة عـام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م) مـن قرية رجال ألمـع متجهاً نحو بلـدة الدرب ثم واصـل طريقه مع بعض الرفاق عبر بلاد بيشـ وصبيا حتى وصل مدينة جـازان ومكـث فيها عدة أيام ثم عاد أدراجه حتى مقر عمله في بلدة رجال ألمع[٦]. ونجد هـذا الرحالـة يطلعنا على بعض التفصيـلات التاريخية والحضارية عـن بعض المناطق الجازانية السهلية والساحلية في بداية العقد السابع من القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، وخلاصة ما وصلنا منه نوجزه في النقاط التالية:

أ- ذكـر أثناء رحلته بعض المعـالم الجغرافية بين الدرب وجازان مثل: أسماء بعض الأوديـة، والقـرى، وأحيانـاً الغابات . كما أشـار إلى شدة الحـرارة والرطوبة في عموم منطقة جازان السهلية والساحلية[٧].

---

(١) انظر: محمد عمر رفيع، في ربوع عسير، ص١٢ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . ص ١٥- ١٧٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٢ - ٢٦٢ .

(٥) هنـاك العديد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية ناقشت تاريـخ عسير الحديث منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) . وتاريـخ منطقـة عسـير ومـا جاورهـا تحتـاج إلى دراسـات أكاديمية رصينـة للقرون والفـترات السابقـة للقرن (١٣هـ/١٩م) . بل إن هذه المناطق منذ القرن (٤-١٢هـ/١٠-١٨م) تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين من المؤرخين والأثريين لدراسة هذه البلاد في تلك القرون .

(٦) انظر، محمد رفيع، ص ١٢٠ وما بعدها .

(٧) المصـدر نفسـه، ص١٣٦ - ١٣٧، ١٤٩-١٥٠ . ومحمـد رفيع لم يزر مرتفعات جـازان ذات التضاريس الوعرة، والمناخ المعتـدل في فصـل الصيف . وشدة الرطوبة والحرارة تتواجد في بيش وصبيا وجازان وغيرها من مدن وقرى السهل والساحل .

ب- ذكر العديد من الجوانب الاجتماعية في مدن وقرى منطقة جازان، مثل: الأطعمة والأشربة التي جل موادها من مزارعهم وثرواتهم الحيوانية . وأهم الأطعمة الخضير، والعكيد، والمعصوب [١]، وأقراص الذرة والدُّخن والتمر، ومن المشروبات القهوة واللبن والحليب الطازج من مواشيهم[٢]. كما أن صيد الأسماك وأكلها من الوجبات الرئيسية عند الجازانيين إلى جانب اللحوم الأخرى[٣]. وذكر شجرة القات التي يمضغ أوراقها الكثير من سكان مدن جازان بل أشار إلى الأوقات الطويلة التي يقضونها في جلساتهم العامة والخاصة مستمتعين بأوراق هذه الشجرة ومص عصارة تلك الأوراق[٤].

كما أشار هذا الرحالة إلى تواضع القرى الجازانية في شكل مبانيها وأزقتها[٥]. وعرج للحديث عن الألبسة والزينة فذكر أنه رأى غالبية الرجال في الدرب وبيش يلبسون الصدرية على الجزء العلوي للجسد، أما الوزرة فهي خاصة بالجزء السفلي من الجسم[٦]، ونفس الألبسة شاهدها في صبيا وجازان، إلا أن بعض الرجال يلبس الثياب والمعاطف والأكوات والمحارم[٧]. أما النساء في عموم مدن جازان فيلبسن الثياب ذات الأكمام وأحياناً دون أكمام، كما كن يلبسن القمصان، وهن محجبات، ويتحلين ببعض أدوات الزينة المصنوعة من الفضة في أيديهن وأرجلهن[٨]. بالإضافة إلى استخدام الكحل في العيون والحناء للرأس واللحية والأيدي والأرجل، عند النساء والرجال[٩].

وفي الوقت الذي زار محمد رفيع منطقة جازان كان هناك العديد من التجار والأعيان وموظفي الدولة ميسوري الحال مالياً، ومن ثم فهم يملكون العديد من الألبسة الداخلية والخارجية للنساء والرجال والأطفال . وكثير من تلك الألبسة أو الأقمشة الرئيسية تستورد من الحجاز أو اليمن أو بعض موانئ إفريقيا وغيرها[١٠].

---

(١) هذه من الأطعمة الرئيسية عند أهل جازان . وللمزيد عن أطعمة أهل تهامة من القنفذة إلى جازان، انظر ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٥٨-٦٥ .

(٢) عرفت بلاد جازان الكثير من الحيوانات الأليفة مثل: الماعز، والضأن، والبقر، والجمال وغيرها.

(٣) انظر : محمد رفيع، ص ١٢١ - ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦ .

(٤) أشار أكثر من رحالة أو كاتب ومؤرخ إلى حب كثير من أهل جازان ومن حولهم إلى مضغ ورق هذه الشجرة (القات) والاستمتاع والاسترخاء أثناء تناولها . وهي ذات نتائج سلبية مالياً وصحياً .

(٥) انظر أقوال محمد رفيع في كتابة (في ربوع عسير : ذكريات وتاريخ) . ص ١٢٤ وما بعدها .

(٦) محمد رفيع، ص ١٢٧ .

(٧) المصدر نفسه، ١٣٥ .

(٨) المصدر نفسه، ١٢٧، ١٣٥، ١٥١ .

(٩) المصدر نفسه . وللمزيد عن الألبسة في المناطق التهامية من القنفذة والبرك إلى جازان، انظر: ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) . ص ٦٥ - ٧٤ .

(١٠) أشار هذا الرحالة إلى مشاهدته الكثير من العناصر البشرية الوافدة أو المقيمة في مدن جازان الرئيسية وبعضهم

لم ينس الإشارة إلى نماذج من مفردات ولهجات أهل جازان . مثل إيراد حرف الشين في أول الفعل المضارع، وبخاصة ما كان منها على وزن أفعل أنام يقولون (شنام)، وأقول لك (شاقولك)، ونجي (شنجي)، ويبدلون العين الفا في النطق مثل: عبد الله ينطقونه (أبد الله)، وعبده، (أبده) [١]. كما أنهم يلقبون من كان اسمه محمد بـ (عزي)، وعلي بـ (جمالي)، ويحيى بـ (العماد)، وأحمد بـ(الصفي)، وعبد الله بـ (الفخري)، وحسن بـ (الضياء) [٢].

كان هذا الرحالة من رواد التربية والتعليم في جنوبي البلاد السعودية[٣]. ومن مهماته الرئيسية في الذهاب إلى جازان هو الاطلاع على مدارسها النظامية. وقد نوه في أكثر من مكان من كتابه بمستوى مدارس صبيا وجازان المتواضع، بل ذكر مقابلته لبعض العاملين في تلك المدارس . وأشار إلى أن مدرسة مدينة جازان عند زيارته لها كانت تحتضن حوالي (١٥٠) طالباً [٤].

ج - بعض المحاور الاقتصادية نالت بعض الاهتمام في رحلة ابن رفيع فذكر صيد الأسماك وماله من أهمية عند الجازانيين، وأشار إلى أنه سمع من أحد الرواة الفرسانيين إلى أن أهل فرسان يعتمدون في كثير من أطعمتهم على صيد الأسماك وطيور السمان التي تقع على شواطئ جزيرتهم[٥]. وذكر الزراعة والمزروعات التي كانت منتشرة في عموم سهول منطقة جازان، وأشار إلى العديد من المنتجات الزراعية مثل: الذرة ، والدخن ، والسمسم، والخضروات والفواكه المتعددة، كالقرع، والفجل، والبامية، والطماطم، والملوخية، والرمان، والعنب، والسفرجل . وهناك العديد من النباتات العطرية التي تزرع قريباً من المنازل والمزارع مثل: الريحان، والفل وغيرهما[٦].

من الحجاز أو نجد أو المرتفعات السروية الممتدة من نجران إلى الطائف، أو بعض اليمنيين والأفارقة . وجميعهم كان لهم عادات وتقاليد في أطعمتهم وألبستهم وزينتهم . محمد رفيع، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٥ - ١٣٦. واللهجات المحلية في منطقة جازان جديرة بالبحث والدراسة. ونأمل من أهل اللغة والمتخصصين في أقسام اللغة والنقد والبلاغة في جامعة جازان أن يلتفتوا إلى مثل هذا الموضوع المهم فيدرس دراسة علمية أكاديمية .

(٢) رفيع، ص ١٥٩ . ومثل هذه العادات لها دلالات ثقافية، واجتماعية، والواجب على المهتمين بتراث منطقة جازان أن يدرسوا مثل هذه الجوانب العلمية الفكرية الثقافية الجديرة بالبحث والدراسة .

(٣) انظر ترجمته ، ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ٢٥٤ - ٢٥٧ .

(٤) رفيع، في ربوع عسير، ص١٤٩، ١٥٥، ١٥٧ . وتاريخ التعليم النظامي في منطقة جازان منذ عام (٥٤ - ١٣٥٥هـ/٣٥-١٩٣٦) جدير بالبحث والدراسة . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرسه دراسة علمية أكاديمية، وهو موضوع جديد جدير بالبحث والدراسة .

(٥) رفيع، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٧ .

وري المزروعات غالباً يعتمد على الأمطار ومياه الأودية وأحياناً الآبار[١]. كما أن الأيدي العاملة في المزارع من أهل البلاد أنفسهم، وأحياناً كان يساعدهم العبيد والموالي الذين قدموا إلى المنطقة من اليمن وإفريقيا[٢].

وقد عرف الجازانيون عدداً من الصناعات التقليدية والحرف اليدوية مثل: النجارة، والدباغة، والخرازة، والنسيج والخياطة، والصباغة، وصناعة الفخار، والخصف وغيرها[٣]. ونجد محمد رفيع يذكر بعض الصناعات التي شاهدها عند الجازانيين مثل: استخراج معادن الملح، والجبس، والنورة[٤]. كما ذكر صناعة استخلاص القطران النباتي، وبين كيفية ممارسة هذه المهنة[٥].

أما التجارة فهي الأخرى حظيت بكثير من الاهتمام عند هذا الرحالة، فأشار إلى أسواق صبيا وأبو عريش وجازان وذكر ما يوجد في تلك الأسواق من سلع، وما يصدر إليها من اليمن والحجاز وبعض الموانئ الإفريقية، مع ذكر بعض الأيدي العاملة التي كانت تعمل في تلك الأسواق وبعضهم من خارج المنطقة [٦]. ويذكر تفصيلات أكثر عن سوق مدينة جازان فيقول: "... سوقها عظيم بالنسبة لغيرها من أسواق مدن هذه الجهة، كثير التعاريج، عامر بمختلف أنواع السلع، وإليه وفيه تنصب معظم غلال الإقليم، وناهيك بها من غلال وافرة، فقد قال لي بعض من عرفت إن زكاة الذرة وحدها بلغت في إحدى السنين السابقة (١,٢٢٧,٠٠٠) صاعاً جيزانياً. والصاع الجيزاني أربعة أمداد، والمد على ما أتذكر حوالي كيلة ونصف مكية. ومن صادرات جيزان المهمة ثمرة شجرة الدوم الموجودة في المنطقة بكثرة، يصدرونها إلى مصوع وعدن وغيرهما"[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٢، ١٢٩.

(٢) تاريخ الزراعة في جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالبحث والدراسة. حبذا أن نرى أحد أقسام التاريخ في البلاد السعودية فيقره موضوعاً لأطروحة علمية لإحدى درجتي الماجستير أو الدكتوراة. وهو موضوع جديد وجيد ،وهناك مئات الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمة مثل هذا العنوان.

(٣) هذه الصناعات وغيرها كانت مهناً قديمة معروفة عند جميع مجتمعات الجزيرة العربية. للمزيد انظر جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط. جامعة بغداد /١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٧، ص٥٠٥-٥٣٠. ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٤٧-١٦٢.

(٤) رفيع، ص ١٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ١٣٨-١٣٩. دراسة الصناعات والحرف اليدوية في منطقة جازان خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جديرة بالبحث والدراسة والتحليل. وهناك العديد من الوثائق غير المنشورة التي تخدم هذا الموضوع الجديد في عنوانه ومادته العلمية.

(٦) رفيع، ص ١٣٤، ١٣٧، ١٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥٧. كانت الحمير هي وسائل النقل الرئيسية لنقل السلع والبضائع في منطقة جازان. وتستخدم الجمال أيضاً لنفس الغرض. تاريخ التجارة في جازان خلال أي قرن منذ فجر الإسلام حتى القرن (١٤هـ/٢٠م)، موضوعات هامة وجديرة بالبحث والدراسة. حبذا أن نرى من طلابنا الجيدين من يعالج تواريخ التجارة في هذه المنطقة الغنية بمواردها الطبيعة، والمميزة بموقعها الجغرافي الاستراتيجي.

١١ ـ ولفرد ثسيجر (ق١٤هـ/ ٢٠م) :

هـذا الرحالة إنجليـزي الجنسية، قـام بالعديد من الرحـلات في أقطار متعددة، ومنهـا الجزيـرة العربية، جـاء عـام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) إلى أجزاء من بـلاد تهامة والسراة،الواقعة بين اليمن والحجاز . وكتب من خلال تلك الرحلة مشاهداته في جوانب متعـددة [١] . ونشـرت رحلتـه باللغـة الإنجليزية في المجلـة الجغرافية التـي تصدر عن الجمعيـة الجغرافية الملكية في لندن عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) ، ثم قام الأستاذ الدكتور أحمد عمر الزيلعي بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها في: **مجلة الدارة، العدد (١) السنة (١٤) (شوال / ١٤٠٨هـ ـ مايو/١٩٨٨م)**، وهذه النسخة المترجمة هي التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه [٢] .

ونجـد هذا الرحالة يزور نواح عديدة من جبال السروات وعسير وتهامة. وقد ذكر لنا تفصيلات عن أجـزاء من منطقة جازان الجبلية والسهلية، وللقيمة العلمية الجيدة التـي وصلتنا عنه منذ نزوله من سروات قحطـان ووادعة إلى بعض مرتفعات ثم سهول جازان [٣] ، نجده يقول: " ... ويوجد إلى الشرق من وادي دفا بدو قحطان، وإلى الغرب منـه توجـد قبائل الريـث، والعزيين، وعلى طول الحـدود اليمنية قبائل خـولان آل تليد وقبائـل بني مالك وبلغازي [٤] . وقد وجـدت هؤلاء القبائل مضيافة، ويختلفون في المظهر عـن بدو العرضية [٥] . فألوانهم فاتحـة، وأنوفهم معقوفة، ولحاهم بارزة، وهم يشبهون بـدو وسط الجزيـرة العربية . إنهم يلبسون مآزر قصيرة جداً من القماش لا تكاد تستر

---

(١) أطلـق علـى تلك المشاهـدات : " رحلة في تهامـة وعسير وجبال الحجـاز " منشورات المجلـة الجغرافية، بالجمعية الجغرافيـة الملكية (لنـدن، ١٩٤٧م) . فاز هذا الرحالة بما حصل عليه تويتشـل وقلبي من رعاية وحماية من الملك عبـد العزيز آل سعـود الذي أعطاه الإذن والدعم للتنقل في البلاد السعوديـة . وموضوع استضافة ودعم الملك عبد العزيـز للكثير من المستشرقين الذين وفدوا إلى بـلاده، وقدموا دراسات عديدة في مجالات مختلفة يستحق البحث والدراسـة العلمية الأكاديمية . وهذه مسؤولية الباحثين المتخصصـين في كليات الآثار والعلوم والآداب في جامعاتنا السعودية .

(٢) انظر: مجلة الدارة، الرياض، ص٩٣ ـ ١٢٣ .

(٣) شملت رحلته أجزاء من تهامة بلاد غامد وزهران وعسير وبعض نواحي القنفذة، ثم مرتفعات عسير، وبعض جبال وسهول منطقة جازان، ثم قمم السروات من أبها إلى الطائف . انظر نسخة الرحلة المترجمة إلى اللغة العربية، ص ٩٣ وما بعدها .

(٤) للمزيـد عن وادي دفا، والريث، وآل تليـد، وبني مالك، والعزيين، وبلغازي. انظر العقيلي، المعجم الجغرافي (ط٢ / ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

(٥) يقصـد بالعرضيـة، العرضيتـان الجنوبية والشمالية في الأجـزاء الشرقية من منطقة القنفـذة . للمزيد انظر ابن جريـس، بـلاد القنفذة خـلال خمسة قرون، ص٣٢ وما بعدهـا، للمؤلف نفسه . القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) ، ج٢، ص٣٣١ وما بعدها .

عوراتهم عندما يجلسون القرفصاء، وشعورهم طويلة، ولكن أولئك الذين لم يختنوا منهم بعد يحتفظون في أعلى رؤوسهم ببقعة واسعة محلوقة . ويؤخر الختان عند هؤلاء حتى يبلغوا سن العشرين إلى الثلاثين سنة، وربما يكونوا قد تزوجوا، ولهم أطفال [١]. وهم مسلحون بشكل جيد، ومعظم بنادقهم صناعة إيطالية مؤرخة سنة (١٨٨٩م)، إنهم يقطنون في دائرة بسيطة، ووضيعة، ويأوون إلى مساكن من الحجر الخشن المسقوف بالحشائش وأغصان النبات. ولديهم قطعان كبيرة من الضأن، والماعز، وبعض البقر، ويمتلكون من الجمال أكثر مما تملكه القبائل التي إلى الشمال منهم، وينمو عندهم، في أعالي الجبال، بعض شجر البن، وقليل من البر، والذرة، والتنباك، ولكنهم بصفة عامة لا يشتغلون بالزراعة، وإنما يتاجرون بالسمن في سبيل الحصول على الحبوب والبن من أسواق تهامة، وحدود اليمن، حيث يعملون على جلب السمن على ظهور جمالهم عبر جبال شديدة الانحدار، وصعبة المسالك، وبدلاً من استعمال الشداد أو الخي، فإنهم يربطون الأكياس المصنوعة من جلد الماعز على ظهور الجمال فوق جلد آخر مطوي" .

" ويقع جبل فيفا على الحدود اليمنية، وعلى ارتفاع (٦٠٠٠) قدم، وهو مكتظ بالمدرجات التي يزرع فيها شجر البن، والموز، والعنب، والرمان، والخوخ، والبرشوم، والذرة، والبر، والشعير، ويجاوره جبل بني مالك على ارتفاع (٧٦٠٠) قدم، والزراعة فيه أيضاً على شكل مدرجات، حيث يزرع فيه شجر البن، والموز، والذرة، والبر، والشعير. أما إمدادات الماء فهي غير كافية في كلا الجبلين، وعليه فإن قربة الماء الكاملة تعطي في جبل فيفا يوم السوق، مردوداً قدره أربعة ريالات" .

ثم سلكنا من جلة الموت[٢]. طريق دفا الذي سرعان ما تغير اسمه إلى بيش، حيث نزلت أمطار غزيرة ليلية على الجبال نتج عنها سيول متتابعة أدت إلى عرقلة رحلتنا بشكل سيء، لأن طريقنا الوحيد يمر في مجرى الوادي. وكنا نرى القردة يومياً، وأحياناً في مجموعات كبيرة، وكذلك الأرانب البرية التي شاهدناها في كل مكان أثناء الرحلة. وهنا تكثر الذئاب والضباع، والنمور الصغيرة ذات الألوان المختلفة، والوعول التي تختلف على الجبال، ولكن الغزلان توجد فقط في السهل الساحلي[٣]. ثم واصلنا سيرنا حول

---

(١) للمزيد عن الختان في جنوبي البلاد السعودية، انظر، ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٨٥-٨٧ .

(٢) جلة الموت : تقع بين بلاد تهامة عسير وجازان، وتراجع إدارياً منطقة عسير، وقد غير الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير سابقاً، اسمها إلى جلة الحياة .

(٣) دراسة تاريخ الثروة الحيوانية والنباتية في منطقة جازان (سهول ومرتفعات) جديرة بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

الجانبين الشرقي والشمالي لجبل الريث، حيث يحف شجر الدوم الكثيف بواد لا نهاية له، وهو يتلوى عبر تلال مجدبة وقائضة. وكانت الحرارة شديدة، والسيل المعكر بالطمي، وغير الصالح للشرب يلتف حول ركبنا، وبعد وصولنا إلى السهل، استدرنا جنوباً مجتازين حقو، وصعدنا جبل هروب، حيث كان الجو بارداً على منحدرات الجبل الذي تقع على قمة وتحت إكليل من السحاب، أراضي العزيين ومنجد، فهناك ينمو شجر البن، والبر، والشعير، وفي الوادي ينمو الموز".

" وفي طريقنا إلى صبيا، مررنا بصبيا الجديدة، عاصمة الإدريسي المهجورة، التي تداعى قصرها المزخرف، وتحول إلى خرائب. وفي هذه الأيام يدور حديث عن الانتقال إلى هناك، لأن صبيا بالي [مدينة صبيا الحالية] تعاني كثيراً من السيول. وصبيا مدينة كبيرة، بيوتها من العشش، وبها قليل من المنازل المبنية من الحجر[١]. وجميع القرى التي تغطي المنطقة المحيطة بها، أكبر بكثير من تلك التي في الشمال والزراعة تنتشر بكثرة حيث ينمو هنا شجر النيلة، بالرغم أن نموه لا يبعد كثيراً إلى الشمال ويعمل منه الصباغ [النيل] في أوانٍ كبيرة على آبار القرية . ومدينة جيزان ميناء محلي، ومنها تدار تهامة عسير بينما القنفذة - وتعرف بصورة عامة باسم البندر - تخدم تهامة الشام، وكلا الميناءين متاحان فقط لرسو السنابيك التي تتوقف أيضاً في البرك والقحمة[٢]. وهنا حضرنا سوق السبت في أم الخشب بوادي بيش، أحد أكبر أسواق تهامة[٣]. حيث تصنع الخوذ من ورق الدوم، وهذه الحرفة من خصائص هذا الجزء من تهامة، وهي تلبس من قبل الرجال، ولو أن المسنين منهم يفضلون قبعات القش ذات الأهرام الواسعة والحافات العريضة[٤].

---

(١) تاريخ بلاد صبيا السياسي والحضاري خلال العصر الحديث جدير بالبحث والدراسة حبذا أن يتخذ منها موضوعات تاريخية تدرس وتبحث عند طلاب برامج الماجستير والدكتورة في جامعاتنا السعودية الجنوبية

(٢) موانئ جازان، والبرك، والقحمة، والقنفذة موضوعات جديدة وجديرة بالبحث التاريخي في العصر الحديث . ونأمل أن تؤخذ موضوعات لأطروحات الماجستير والدكتوراة في جامعاتنا السعودية . وهي فعلاً جديرة بذلك، ويوجد حولها مئات الوثائق غير المنشورة .

(٣) الباحث في المصادر والمراجع المطبوعة المنشورة، وفي الوثائق غير المنشورة يجد أن الأسواق الأسبوعية كانت منتشرة في عموم بلدان جازان . والأسبوع من أوله إلى آخره لا يخلو من سوق أو سوقين تقام في ناحية من نواحي الديار الجازانية. وهناك مئات الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمة هذا الموضوع . ونأمل أن يظهر أحد الباحثين الجادين فيبحث تاريخ الأسواق الأسبوعية في جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) تاريخ الصناعات التقليدية والحرف اليدوية في جازان جدير بالبحث والدراسة . وهناك رواة مازالوا على قيد الحياة، ووثائق غير منشورة في هذا الموضوع تستحق البحث والدارسة.

١٢- تركي بن محمد الماضي (ق١٤هـ/ ٢٠م):

ابن ماضي من مواليد روضة سدير عام(١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)، نال بعض التعليم في مسقط رأسه بالروضة، وعند بلوغه العقد الثالث من عمره سافر مع عبد الله بن إبراهيم العسكر الذي عين أميراً على عسير عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م)[١].

وكان تركي الماضي كاتباً وأميناً لسر الأمير. وقد أثبت ابن ماضي جده واجتهاده، وأرسل من قبل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في العديد من السفارات الدبلوماسية بين ابن سعود، والإمام يحيى بن حميد الدين، إمام اليمن. وكذلك بين الإمام عبد العزيز آل سعود والسيد الإدريسي في جازان[٢]. ومنذ عام (١٣٥٣-١٣٥٦هـ/١٩٣٤-١٩٣٧م) تولى إمارة منطقة غامد وزهران، ومن (١٣٥٧-١٣٧١هـ/١٩٣٨-١٩٥١م) صار أميراً لمنطقة نجران، ومن (١٣٧١هـ إلى سنة وفاته ١٣٨٥هـ/١٩٥١م -١٩٦٥م) كان أميراً لمقاطعة عسير التي عاصمتها مدينة أبها[٣].

ويتضح لنا أن تركي الماضي لم يكن رحالة بقدر ما هو رجل دولة تقلب في العديد من الأعمال السياسية والإدارية. ومن يستقرئ سيرته الذاتية يجده زار وشاهد معظم المناطق في جنوبي البلاد السعودية، والجميل في ذلك أنه سجل لنا الكثير من مشاركاته وانطباعاته وجولاته في كل من مناطق عسير، وجازان، ونجران، وبلاد غامد وزهران. بل دون لنا أيضاً بعض مشاهداته في حواضر اليمن الكبرى مثل: صنعاء وغيرها[٤]. وقد نشرت مشاهداته تحت عنوان: **من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٤م)**[٥]. وعند الاطلاع على هذا الكتاب نجده يدخل ضمن كتب الرحلات، لأن جل مادته العلمية قامت على الرحلة والخبرة

---

(١) عبد الله العسكر تولى إمارة منطقة عسير من(١٣٤٢-١٣٤٨هـ/١٩٢٣-١٩٢٩م) وهناك روايات تذكر أن إمارة هذا الأمير في عسير من (١٣٤٣-١٣٥٢هـ/١٩٢٤-١٩٣٣م). ولكن ما أورده ابن ماضي ربما هو الصحيح لأنه كان معاصراً لتلك الفترة. وإفراد دراسة مستقلة لابن عسكر مهمة جداً، ونأمل أن يقوم قسم التاريخ. بجامعة الملك خالد بتخصيص هذا العنوان لأطروحة ماجستير أو دكتوراة، يقوم بإنجازها أحد طلاب هذا القسم الأكاديمي. للمزيد عن ابن عسكر. انظر: من مذكرات تركي الماضي (ط ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص١٦، ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ص٦٠.

(٢) انظر: من مذكرات تركي الماضي. ص١٧ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩ وما بعدها.

(٥) تم طباعة هذا الكتاب الذي يقع في (٤٧٠) صفحة من القطع المتوسط، على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود، أمير منطقة الرياض سابقاً، وملك البلاد حالياً. وكانت طباعته (في دار الشبل للنشر والتوزيع بالرياض عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

والمشاهدة، وكاتب هذه المذكرات نفسه هو صاحب تلك التجارب والمشاهدات [١]. ولمنطقة جازان نصيب لا بأس به في هذه المذكرات، ومما ذكره هذا الرحالة عن الديار الجازانية نلخصه في النقاط التالية:

١. كانت منطقة جازان خلال العقد الرابع من القرن(١٤هـ/٢٠م) تحت سيطرة علي بن محمد الإدريسي، ثم عمه الحسن بن علي الإدريسي[٢]. وسيطرتهما لم تكن محكمة بشكل جيد، وهذا مما جعل إمام اليمن يطمع في السيطرة على بلادهما، ولو حصل ذلك فسوف يحل كثيراً من الإيذاء على بلاد عسير الواقعة تحت سيطرة ابن سعود، لهذا بدأ الإمام عبد العزيز آل سعود يتوجس من هذا الأمر، ومن ثم أرسل تركي بن محمد الماضي من أبها إلى علي الإدريسي عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) كي يوضح له بعض المخاطر التي تحيط ببلاده، وفي عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) تولى السيد الحسن بن علي الإدريسي أمر الديار الجازانية بدلاً من ابن أخيه، ثم عقدت اتفاقية مكة المكرمة بين ابن سعود والسيد الإدريسي عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) . وخلاصة تلك الاتفاقية أن تدخل منطقة جازان تحت حماية الإمام عبد العزيز آل سعود، وتكون الشؤون الداخلية من اختصاص السيد الإدريسي[٣]. وقد أورد ابن ماضي الكثير من التفصيلات التي تلت تلك الاتفاقية، وما قام به الحسن الإدريسي من خرق لما تم الاتفاق عليه، ثم ثورته في وجه ابن سعود ورجاله في جازان عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وأخيراً تصدى الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لهذه الثورة والقضاء عليها [٤]. وتركي الماضي كان مشاركا وشاهد عيان للكثير من الأحداث في تلك الصراعات بين ابن سعود والإدريسي، فذكر أحداث ونتائج بعض المعارك التي حصلت بين الطرفين، كما أشار إلى بعض التوضيحات التاريخية الحضارية التي أثرت سلباً على بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في البلاد الجازانية [٥]. كما احتوت هذه المذكرات على العديد من الوثائق والخطابات المتبادلة بين الإمام ابن سعود والسيد الإدريسي[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن إمارة الأدارسة في جازان، انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) الجزء الثاني، ص ٦١٩ وما بعدها .

(٣) انظر، مذكرات تركي الماضي، ص ٣٧وما بعدها . للمزيد عن إمارة الأدارسة وما جرى من صلات وحروب بينهما وبين ابن سعود انظر: العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (ط ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) الجزء الثاني ص ٩٠٩ وما بعدها.

(٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٥) مثل تدمير القرى والمنازل، وإهلاك الحرث والنسل، وقتل العديد من الرجال من الطرفين، بالإضافة إلى الأعمال التجارية والزراعية فقد نالها التدهور والكساد . انظر: مذكرات تركي الماضي، ص ٨٣ وما بعدها .

(٦) ويوجد في هذه الوثائق الكثير من التوضيحات التاريخية والحضارية لأحوال منطقة جازان خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة عن تلك الفترة الجديرة بالبحث والتحليل والدراسة .

٢. في حوالي (٢٠) صفحة يتحدث هذا الرحالة عن ثورة أهالي الريث عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)[١]، وكيف تعامل معها أمير جازان في مواجهة تلك الثورة[٢]؟ وقد فصل الحديث عن أسباب تلك الثورة، وأحداثها، ثم نتائجها التي أسفرت عن القضاء على تلك الثورة، وإعادة الأمن والاستقرار في البلدان الريثية[٣]. وأورد تركي الماضي الكثير من الأشعار العربية والنبطية التي قيلت في أحداث ثورة الريث، وقد جمعها بعض مرافقي الأمير الذين ذهبوا معه ورجاله من أبها إلى تهامة جازان من أجل إخماد تلك الفتنة[٤]. ولم يغفل هذا الكاتب ما لحظه من سكان وطبيعة جبل الريث، ويعرف أيضاً بجبل القهر[٥]، فيقول: " سكان هذا الجبل من الريث، وهم أهل زراعة وأكثر مواشيهم البقر والغنم، والقسم الكبير منهم بادية، وهم في بطون الأودية المحيطة بالجبل وعندهم عدد كبير من الإبل والغنم، ويلجؤون إلى الجبل عند الشدائد، ويبلغ عدد نفوسهم نحو (٥٠٠٠) منهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل "[٦]. وذكر أسماء ثمان قبائل في هذه البلاد، كما أشار إلى بعض الثروات في جبل القهر (الريث)، فذكر أنها " .. حقول البن والموز وأعواد النحل التي يجني منها العسل في أوقاته، وهو مشمول بالغابات الكثيفة، ومن أهم ما فيه أخشاب العرعر التي لا يقل طول الواحد منها عن ثلاثين إلى خمسة وعشرين ذراعاً، ويوجد الطلح والسمر والسدر في بطون الأودية.. "[٧].

٣. وفي حوالي (٢٧) صفحة يورد هذا الرحالة تقريراً عن منطقة جازان خلال العقود الوسطى من القرن(١٤هـ/٢٠م)[٨]. ويشير إلى جغرافيتها الطبيعية فيقول: " .. تبدأ من الجهة الشمالية من القحمة .. وتنتهي في الموسم (وهي)

---

(١) بلاد الريث، ضمن الجبال التابعة لمنطقة جازان، وقد قام في هذه الجبال عدد من الثورات منذ العقد الخامس في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وآخرها هذه الثورة التي شارك فيها تركي الماضي، عندما كان أميراً لمنطقة عسير . للمزيد انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف، الجزء الثاني ص ١١٦٢، مذكرات تركي الماضي، ص ٣٩١ وما بعدها .

(٢) هذه الثورة والثورات التي قبلها كانت القوى الإدارية في جازان وعسير تتعاون في القضاء عليها، وغالباً تنجح في السيطرة على ديار الريث .

(٣) انظر، مذكرات تركي الماضي، ص ٣٩١ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٤ ـ ٤١٠ .

(٥) كلمة (القهر) تطلق على جبل معروف من سلسلة جبال السروات المتاخمة لتهامة جازان، وإلى جانبه جبل آخر يسمى أيضاً القهر، وثالث اسمه زهوان . ويطلق على هذه الجبال مجموعة جبال الريث، وبه سميت قبائل الريث . مشاهدات الباحث أثناء تجواله في منطقة جازان خلال شهري ربيع الثاني وجمادى الاولى (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٦) انظر، مذكرات تركي الماضي، ص ٤٠٢ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٠٣ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٢٨ ـ ٤٥٥ .

سهل مأهول بالقرى المتقاربة محفوفة بالمزارع من الدخن والذرة، وهي من وجهة تكوينها أرض رملية من الجهة الشمالية والغربية والجنوبية، ومن الشرق عند اقترابها من جبل السراة، توجد نجود وهضاب وجبال دون ارتفاع جبال السراة، صالحة للزراعة ومحتوية على كثير من الأشجار، وهو الذي يعدونه القسم الجبلي ... وإذا اقتربت من سفوح الجبال نجد كثيراً من المستنقعات والغيول المتبقية من السيول التي تنحدر من جبال السراة، وأودية تهامة وما حولها من المناطق الجبلية، وهذه المستنقعات تسبب أنواع الحميات ... أما القسم الجبلي فهو معتدل المناخ تنزل عليه الأمطار صيفاً وشتاءً فتسيل فيه الأودية .. وعرض المقاطعة يتراوح في محلات مابين (٥٠- ١٠٠) كيل.."[١].

ويورد تفصيلات متنوعة عن بعض الطرق والمسافات التي تربط مقاطعة جازان مع غيرها، وينوه إلى أسماء بعض أوديتها، وشيء من ثرواتها النباتية والحيوانية . وأسهب في ذكر أهم مدن وقرى منطقة جازان مع ذكر بعض الإحصائيات لسكان كل ناحية[٢]، والبطون والعشائر التي تستوطن تلك الحواضر والقرى، ولم يغفل عن ذكر المذاهب التي كانت سائدة بين الناس، وأهمها المذهب الشافعي والزيدي، وأخيراً يذكر خلاصة ارتباط بلاد جازان بالحكم السعودي منذ عهد الدولة السعودية الأولى إلى العقد الثامن من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٣].

١٣- عاتق بن غيث البلادي (ق١٤هـ/ ٢٠- ٢١م) :

هذا الرحالة من رجالات الحجاز، له عدد من الكتب المنشورة في التاريخ، والأدب، والأنساب، والجغرافيا، والرحلات[٤]. ومؤلفه الذي يخصنا في هذه الدارسة هو: **بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات**[٥]. قام برحلة ميدانية في شهر صفر عام

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٢) ذكره لتلك الإحصائيات يبدو أنها غير دقيقة، لأنه كان يجمع معلوماته من بعض الرواة في منطقة جازان، دون الرجوع إلى مصادر موثوقة لتسجيل تلك الإحصائيات. انظر: مذكرات تركي الماضي، ص ٤٣٤ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ٤٣٥ وما بعدها . والعقد الثامن، هو التاريخ الذي مات فيه صاحب المذكرات، فكانت وفاته عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) .

(٤) قضى البلادي جل حياته في البحث والتأليف والترحال، ودار مكة للطباعة والنشر في مكة المكرمة قامت على طباعة ونشر معظم مؤلفاته، انتقل إلى الدار الآخرة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) . للمزيد انظر ابن جريس : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص٢١٤- ٢١٧ . سبق أن أوردنا حاشية خطأ عن هذا الرحالة في كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)، ج٣، ص ٣٧٧ . حاشية رقم (٢) . ونعني بالكتاب الوارد في تلك الحاشية . بلاد القنفذة .. وليس ما تم إيراده هناك .

(٥) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ..

(١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) بدأها من مكة المكرمة على طريق الساحل حتى وصل إلى مدينة جازان وما حولها، ثم عاد أدراجه عن طريق الشقيق حتى محائل ثم المظيلف حتى مكة[١]. وبعد الاطلاع على ما شاهده ودونه منذ وصوله بلدة البرك حتى مدينة جازان وما حولها، ثم عودته في الطريق التي سلكها ما بين جازان والشقيق راجعاً إلى مكة[٢]. تم استخلاص عدد من النقاط التي نذكرها على النحو التالي :

١. أشار إلى العديد من مواطن الاستيطان الحضارية، وهي من الشمال إلى الجنوب: وادي ذهبان، القحمة، الشقيق، الدرب، أم الخشب (بيش)، عثر، صبيا، وادي ضمد، مدينة جازان، أبو عريش، العارضة، الموسم، أحد المسارحة[٣]. وذكر صفة الموقع الجغرافي لمعظم هذه البلدان، وأسماء القرى والعشائر التي تقطنها، وبعض المعالم الحضارية في كثير منها مثل: المنازل وطبيعة بنائها، والمؤسسات الإدارية مثل: المحكمة والشرطة وغيرها التي توجد في كثير من هذه النواحي[٤]. ومما قال عن مدينة جازان أنها: " .. مدينة متطورة العمران بها قصور من ثلاث طبقات، وشوارع منظمة، وحدائق ومدارس للبنين والبنات من الابتدائي إلى الثانوي . وهي قاعدة مقاطعة جازان حيث تتبعها الأرض الواقعة من وادي ذهبان شمالاً إلى وادي حرض جنوباً، ومن سراة جنب - بني مالك وفيفا وغيرها - شرقاً إلى البحر غرباً وبها كل ما بالمدن الرئيسية من إدارات حكومية مثل: الشرطة، والمرور، وإدارة تعليم للبنين وأخرى للبنات، وفروع الكثير من الوزارات، وبنوك وغير ذلك، وقد ازدهرت في العهد السعودي، وكان قوام عمرانها من العشش كما هي الحال في تهامة"[٥]. وذكر (١٥) إمارة صغيرة تتبع إمارة جازان[٦]. كما أشار إلى ميناء جازان ورسو عدد من السفن الكبيرة فيه[٧]. وعند إشارته إلى بعض الحواضر، أو الأودية ذكر أيضاً نبذاً يسيرة عما ورد عنها في كتب التراث مثل: عتود، عثر في ناحية بيش، صبيا، ضمد وغيرها [٨].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٦ - ٣٠٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٢ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه . لقد زرت جازان في تلك الفترة التي زارها البلادي، وشاهدت العديد من الأبنية الحجرية والمسلحة، لكن بيوت القش، أو ما يعرف بالعشش كانت أيضاً منتشرة في مدينة جازان وضواحيها . مشاهدات الباحث في بداية القرن (١٥هـ/٢١م)

(٦) تلك الإمارات هي: صبيا، بيش، أبو عريش، سامطة، ضمد، المسارحة، بني مالك، الدرب (بني شعبة)، الشقيق، الريث، القحمة، الموسم، هروب، الجعافرة، العارضة .البلادي ، ص ٢٦٦ ؟

(٧) المصدر نفسه . ص ٢٦٧ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٤١، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦٤ .

٢. لا يخلو شرحه من ذكر بعض الشذرات البسيطة عن جوانب اجتماعية، واقتصادية، وتعليمية ثقافية شاهدها في بعض البلدان التي مر عليها . لكن حديثه في هذه الجوانب كان مختصراً جداً، وأحياناً يكتفى بإشارات محددة جداً .

٣. مما أطلعنا عليه للبلادي في مواطن أخرى غير جازان نجده أحياناً يتعرض للحديث عن التاريخ السياسي في البلدان التي مر عليها، بل يذكر بعض الأعيان والوجهاء وموظفي الدولة وغيرهم، أما في هذه الجزئية الخاصة بمنطقة جازان فلم يتحدث عن هذه المحاور بشكل جيد، وإن كان أحياناً يشير إلى بعض من هذه القضايا، لكن ليس بالشكل الموسع والواضح .

٤. منطقة جازان مليئة بالأنماط العمرانية المتنوعة، ونشطة في أوضاعها الزراعية والتجارية والحرف والصناعات التقليدية . ولم نجد هذا الرحالة يولي هذه الجوانب كبير اهتمام في مشاهداته ومدوناته .

١٤. بعض المؤرخين والرحالين الجازانيين (ق١٤-١٥هـ/ ٢٠-٢١م) :

هناك عدد من الرحالة والمؤخين الجازانيين كتبوا عن بلادهم خلال القرنين ١٤-١٥هـ/ ٢٠-٢١م) . ولسنا في هذا المقام بصدد حصر كل من دون تاريخاً أو مشاهدات أو انطباعات من أهل جازان عن منطقة جازان نفسها[١]، وإنما نذكر بعضاً منهم لعله يظهر من طلاب البحث العلمي الجادين من يدرس هذا المحور دارسة علمية أكاديمية دقيقة[٢]. ومن أولئك المؤرخين والرحالين :

أ. عبد الله بن علي العمودي :

هو الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله باسندي العمودي من مواليد مدينة أبو عريش عام(١٢٩٩هـ/١٨٨١م) ، رحل إلى بعض مدن اليمن لطلب العلم، ثم عاد إلى أبو عريش عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) . وعمل في القضاء في عهد السيدين محمد والحسن الإدريسي. له العديد من المؤلفات[٣]. ومشهود له في منطقة جازان بالعديد من الجهود

---

(١) هناك الكثير من الدراسات والمدونات باللغة العربية وغيرها من اللغات عن منطقة جازان . والفاحص لكتب التراث وكذلك البحوث والدراسات الحديثة يجدها تزخر بمعارف مختلفة عن هذه الديار الغنية بالموارد الطبيعية والبشرية .

(٢) إن منطقة جازان، إن صح التعبير، بكر في مجالات البحث والتأليف، ونأمل أن تستشعر جامعة جازان هذه المسؤولية فتؤسس مراكز البحوث العلمية الجادة التي تقوم على دراسة أرض وسكان وتاريخ وحضارة بلاد جازان، فهي مليئة بكنوز معرفية، وأبناؤها أفضل وأجدر بدراسة حضارة وثقافة ونمو أوطانهم .

(٣) من مؤلفاته: اللامع اليماني في تاريخ المخلاف السليماني، والمرشد والبيان المفرق بين أولياء الرحمن وأولياء

الدعوية والثقافية والفكرية[١].

ونجد في مجلة المنهل مبحثاً يقع في أربع صفحات للشيخ العمودي سماه: **رسالة في الرحلة الملكية السعودية إلى المنطقة الجنوبية التهامية**[٢]. وهذه مدونة لرحلة الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عام (١٣٧٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٣-١٩٦٤م)، عندما زار منطقة ساحل البحر الأحمر من جدة إلى جازان عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) [٣]. وفي هذه الرسالة معلومات مختصرة لنزول الملك في كل من: وادي ذهبان، والموسم، وصبيا، وأبو عريش، وجازان، وبعض النواحي القريبة من مدينة جازان[٤]. وأهم ما امتازت به هذه الأخبار، هو الفرحة التي عمت منطقة جازان عند زيارة الملك لها، ثم عطف وأعطيات الملك التي كان يوزعها على أهل البلاد، وما قدم أهل جازان من حفاوة وتقدير وإكرام لضيفهم [٥].

ب- محمد زارع عقيل :

ولد الأستاذ محمد في مدينة جازان عام (١٣٣٠هـ/١٩٨١م)، ودرس بعض العلوم الشرعية عند بعض المشائخ في منطقة جازان ،وعمل في بعض المؤسسات الإدارية، وكان آخرها إمارة جازان . كتب عنه محمد العقيلي، وأشار إلى أنه رائد القصة في الجنوب[٦]. وله العديد من القصص المنشورة في مجلة المنهل[٧]. وله مقالات أخرى في فنون مختلفة ومعظمها نشرت في مجلة المنهل [٨]. وقد اطلعنا على دراستين عن أجزاء من منطقة جازان، نشرهما في المنهل في سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي: (١) **ساعة في ربوع عسير**، في ثلاث صفحات علق فيها على كتاب محمد عمر رفيع، **في ربوع عسير**، وركز في تعليقاته على العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي

الشيطان، وديوان رسائل وقصائد شعرية في كثير من المناسبات خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ورحلة الأسفار في من لقيت من الأنظار . للمزيد انظر: أحمد محمد الشعفي المعافا. فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن (١٣هـ) بمنطقة جازان .(جدة : مطابع مؤسسة المدينة، للصحافة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج١، ص ٣٤٧-٣٤٩، أنظر أيضاً، ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص ١٢٣ . حاشية (٣) .

(١) المراجع نفسها .

(٢) انظر مجلة المنهل . مج (١٧)، ج(٩)، السنة (٢٠) (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ص ٦٠٩-٦١٢.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) انظر العقيلي، التاريخ الأدبي، ج٢، ص ١٣٧٢ .

(٧) المرجع نفسه، انظر أيضاً: الشعفي المعافا، فرجة النظر، ج٢، ص ٢٧٢ .

(٨) مجلة المنهل، ج (٤) السنة (١٥) (ربيع الآخر /١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص ١٧١-١٧٣ .

أشـار إليهـا ابن رفيع عن المنطقـة الجازانية، فصحح ما وقع فيه مـن أخطاء، وأحياناً وضـح بعض المصطلحات التي ذكرها محمد رفيع[١]. (٢) **جبل القهر في التاريخ**[٢].، في خمس صفحـات، أوجز فيها الكاتب تاريخ جبل القهـر وساكنه من قبيلة الريث منذ بدايـة القرن (١٣هـ/١٩م) إلى عصر كاتب هذه السطور في منتصف العقد السابع من القـرن (١٤هـ/٢٠م)، وأورد تفصيلات قيمة عن الصراع الـذي جرى بين رجال الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود وقبائل الريث عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) [٣].

ومـن المقالتـين السابقتـين اتضح لنا أن محمـد بن زارع أحد مؤرخـي بلاد جازان خـلال النصـف الثاني مـن القـرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان يجمع في مدوناتـه بين النقل والتوثيق من كتب الـتراث الإسلامي المبكر والوسيط وبين الخبرة والمشاهدات والتجول في ربوع منطقته[٤].

ج- السيد إبراهيم سالم العمار العريشي[٥].

تم العثور على خمس صفحات لهذا الكاتب، منشورة في مجلة المنهل، بعنوان: **مدينة ابي عريش في الماضي والحاضر**[٦]. وجميع مادة هذه المقالة قامت على التجربة والمشاهدات الميدانية، وهي: خلاصات لتاريخ مدينة أبو عريش الاجتماعي، والاقتصادي، والثقـافي والتعليمي خلال سبعينيـات وبداية ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [٧]. وإذا كانـت هذه المعلومات مختصـرة، إلا أنها ذات فائدة من حيـث التركيز، وصدورها من كاتب معاصر لما تم روايته وتسجيله[٨].

د- محمد بن أحمد العقيلي :[٩].

الأستـاذ المؤرخ، والأديـب، والشاعر، والرحالة محمد العقيلي، مـن مواليد مدينة صبيا

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه . مج (١٦)، ج (٦) السنة (٢٠) (جمادى الآخرة / ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ص ٣١٠-٣١٤ .

(٣) المصـدر نفسه، وللمزيد عن حروب جبل القهر أو قبائل الريـث انظر، مذكرات تركي الماضي، ص٣٩١ وما بعدها، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، الجزء الثاني ص ١١٦٢ .

(٤) لـه العديـد من القصص الأدبية، والمقالات العلمية التاريخية والحضارية حبذا أن يتم جمعها ودراستها، بالإضافة إلى دراسة تاريخ وحياة هذا الكاتب . انظر، الشعفي المعافا، فرجة النظر، ج٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٥) لم أعثر على ترجمة لهذا الكاتب، ولكن من المؤكد أنه من مدينة أبو عريش في منطقة جازان .

(٦) انظر:مجلة المنهل، مج (٢١) ج٦ (جمادى الآخرة /١٣٨٠- ديسمبر/١٩٦٠م)، ص٤٠٨-٤١٢.

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

(٩) انظر، الشعفي المعافا، فرجة النظر، ج٢، ص ١٥٣-١٦١ .

عـام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) [١]، تعلـم في بداية حياته على مشايخ صبيـا وجازان، ثم اتجه إلى دراسـة تاريـخ وأدب وحضارة منطقة جـازان، ونشر عنها عشرات الكتـب والدراسات، ومن المؤلفـات التي ألـف وطبع ونشر عن بلاد جازان. (١) **تاريخ المخلاف السـليماني**، جزءان. (٢) **الشـاعر الجـازاني (ابـن هتيمل)**. (٣) **الشـاعر الجـازاني (ابن شـاجر)** . (٤) **التصـوف في تهامـة .** (٥) **الأدب الشـعبي في الجنـوب**، جـزءان. (٦) **المعجم الجغرافي عـن منطقـة جـازان**. (٧) **الآثـار التاريخية في منطقة جـازان** . (٨) **مـن أدب جنوب الجزيـرة العربيـة**، جزءان . (٩) **التاريـخ الأدبي لمنطقة جـازان**، ثلاثة أجزاء . (١٠) **معجم اللهجات المحلية**. (١١) **المعجم النباتي .** (١٢) **أضواء على أدب وأدباء جازان**، جـزءان . (١٣) **العقيـق اليمـاني**، لعبد الله النعمان (دراسة وتحقيـق) . وله بحوث وكتب ودراسـات أخرى عـن جنوبي البلاد السعودية، وعن أجزاء عديدة في الجزيـرة العربية[٢].

ومن خـلال هذه الترجمة الموجزة، وأيضاً اطلاعنا وقراءتنـا لمعظم مؤلفاته خرجنا بالعديد من الانطباعات عن هذا العالم القدير ، وهي على النحو التالي :

١. الشيخ العقيلي نذر جل حياته لخدمة أهله وذويه في منطقته (جازان) ، فدرسها مـن شتـى الجوانب (تاريخياً، وأدبيـاً وثقافياً وفكرياً، وجغرافيـاً وعلمياً) ومن ثـم فقد أسدى للجازانيين مـا لم يقدمه غيره من المؤلفـات والدراسات القيمة . ومـن خلال الاطلاع على بعض وثائقه والرسائل المرسلة إليـه على مدار خمسة عقود، نجد كثيراً من أصحاب تلك الرسائل يتفقون معنا في الإبداع والريادة التي اتصف بها هذا العالم التهامي الجازاني[٣].

٢. مـن خلال التأمل في مؤلفاتـه المتنوعة ،وجدناه اعتمد علـى العديد من المناهج العلميـة مثـل: الطـرق الوصفيـة، والنقديـة ،والتحليلية، والمقارنـة . كما كان بارعـاً في البحـث في كتب التراث الإسلامي وجمع مادته مـن كل مصدر يدعم ويبني بحثه، ولا يتردد أحياناً في ذكر وجهة نظره، سلباً أو إيجاباً، على ما قرأ ونقـل. والملاحـظ على كثير من مؤلفاتـه أنها اعتمدت علـى الرحلة والتنقل في أرجـاء منطقة جازان . والفاحـص لمؤلفاته المعجمية مثـل: **المعجم الجغرافي**،

---

(١) طال عمر الأستاذ العقيلي حتى العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) .

(٢) للمزيـد عـن ترجمة وحياة هذا العالم الجازاني، انظر مؤلفاته، وانظر أيضـاً كتاب: العقيلي في رسائل معاصريه (جازان : مطابع جازان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ٦٣٣ صفحة، وللمزيد انظر، تفصيلات أكثر عنه في الجرائد والمجلات وبعض الدوريات الجامعية السعودية .

(٣) انظر، كتاب : العقيلي في رسائل معاصريه، ص ٩ وما بعدها .

ومعجم اللهجات، والمعجم النباتي، والأدب الشعبي في الجنوب يجد أن جل مادة هذه الكتب قامت على الرحلة والتجوال، والرواية الشفاهية، والمشاهدات. وبهذه العزيمة القوية، والجد والاجتهاد والصبر والرغبة استطاع هذا المؤرخ والأديب والرحالة أن يحفظ لنا الشيء الكثير من تاريخ وحضارة المنطقة الجازانية[١].

٣. لست الوحيد الذي أطلق على العقيلي اسم : **أديب الجنوب**، أو **أديب جازان**، أو **مؤرخ جازان**، وإنما هناك عشرات الأشخاص الذين سبقوني في تلقيبه بهذه الألقاب. وأضيف إلى تلك النعوت بأنه (شيخ الرحالين) في منطقة جازان، لأن الرحلة في معرفة بلاده كانت من أهم الركائز الرئيسية في بحوثه ودراساته[٢].

٤. هناك العديد من الكتاب والأدباء والمؤرخين المشاهير أنصفوا الأستاذ العقيلي وما قدم لأهله وبلاده[٣]. ولكن الجازانيين الأكاديميين، وأحياناً غير أكاديميين تجدهم يسعون إلى التقليل من شأنه وإنجازاته، وأحياناً تصل بالبعض منهم إلى القول : إنه ليس أكاديمياً، أو أن دراساته هزيلة وغير موثقة، أو أنه خلط وتعمد الخطأ في كثير من رواياته ومدوناته، أو أن دراساته لا يعتد بها، أو من هذه الأقوال البعيدة عن الإنصاف . وعند القراءة في العديد من مؤلفاته الرائدة وجدت من يقول بمثل هذه الأطروحات قد ظلم نفسه، ولم يرد بأقواله وجه الله وقول الحق، ونقول لمثل هؤلاء اتقوا الله، وقولوا قولاً سديداً أو اصمتوا، والصمت خير[٤].

---

(١) للمزيد انظر مؤلفاته المتنوعة في أبوابها وأطروحاتها .

(٢) المصدر نفسه . هناك العديد من الرحالة الذين زاروا جازان وتكلموا عنها، البعض منهم ذكرناهم في هذا القسم، ومازال بعضهم يحتاج إلى بحث ودراسة . ولكن الأستاذ العقيلي يعد الشيخ والرائد العصر الحديث والمعاصر في هذا الباب .

(٣) انظر، الشعفي المعافا، فرجة النظر، ج٢، ص ١٥٣ وما بعدها . ويقول عنه الشيخ الجاسر: " ما قرأت بحثاً أو كتاباً لأخي الأستاذ العقيلي إلا وذكرت علامة العرب الهمداني صاحب المؤلفات في كل جانب من جوانب المعرفة . وأعجب ما يتصف به الهمداني من صبر وجلد ودأب في مواصلة الدراسة والتأليف في موضوعات ندر من تصدى لها من أهل زمنه، فأجد العقيلي سائراً على نهج ذلك العالم يؤلف مختلف التآليف عن النبات والتصوف واللهجات وغيرها، بالإضافة إلى مؤلفاته في التاريخ والجغرافيا والأدب والشعر" انظر الشعفي المعافا، ج٢، ص ١٥٥ .

(٤) الشيخ العقيلي لا أعرفه ولم أقابله قط، ولكن صار بيني وبينه مراسلات، وتبادل بعض الكتب الهدايا . وما أشرت إليه في المتن لم يكن فقط قولاً عابراً، أو رأياً من أناس غير متعلمين، وإنما هذه آراء وأقوال أسمعها منذ ربع قرن، بل تجادلت مع العديد من الزملاء الأكاديميين في بعض الجامعات السعودية، ووجدت بعضهم متمسكين بآرائهم التي لا تستند على منهج علمي أكاديمي رصين وشفاف . وأرجو أن نرى في قادم الأيام من يدرس مؤلفات العقيلي وينصفه بدراسة ماله وما عليه . وهذا نداء لكل الباحثين الجادين النزيهين الحياديين .

٥. إن أهل جازان ممثلين في الإمارة، والجامعة، والنادي الأدبي، والمؤسسات المدنية والتعليمية، وعموم الأكاديميين الجازانيين في العلوم النظرية والإنسانية عليهم جميعاً مسؤولية تجاه هذا العالم التهامي، فتقام ندوة علمية كبرى يقدم فيها ما خلف وما قدم لأهله وبلاده، ويجب على جامعة جازان أن تطلق اسمه على إحدى قاعاتها العلمية. كما أن أقسام التاريخ، والأدب، والتراث عليها هي الأخرى مسؤولية تجاه نتاجه العلمي فتعقد له اللقاءات العلمية، وتوجه بعض طلابها في برامج الدراسات العليا لدراسة مؤلفاته وفكره وثقافته، وهذا في اعتقادي واجب على كل جازاني قادر على الدراسة والبحث والتدوين[1].

ثالثاً : وقفة تأمل وتحليل للرحالة ومدوناتهم :

من خلال دراسة هؤلاء المؤرخين والرحالين السابقين وما ذكروه عن تاريخ وحضارة منطقة جازان، خرجنا بالعديد من الصور التي نناقشها في النقاط التالية :

١ ـ تنوع ثقافاتهم :

المتأمل في مشارب هؤلاء الرحالين الثقافية والعلمية يجدها مختلفة من واحد إلى آخر . فالرحالون الأوائل : الهمداني، وعمارة اليمني، وابن المجاور، وابن بطوطة عاشوا في قرون مختلفة وفي مناطق متنوعة، مثل الهمداني وعمارة في بلاد اليمن، فالأول في المرتفعات الجبلية، والثاني في السهول التهامية، ثم تنقلوا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . أما ابن بطوطة وابن المجاور فقد وصلوا إلى بلاد جازان قادمين من خارج الجزيرة العربية، فالأول مغربي الأصل، والثاني مشرقي في أصح الأقوال .

كذلك الرحالون الذين ظهروا في العصر الحديث من بدول وكورنواليس إلى محمد أحمد العقيلي، جاءوا من بيئات متنوعة في ثقافتها وفكرها ولغتها فالبعض منهم ذو لسان أعجمي وثقافة غربية مثل: كورنواليس وبدول وفلبي، وتويتشل وشسيجر، وبعضهم تعلم اللغة العربية وأجادها مثل: فلبي الذي كان بارعاً في القراءة والكتابة بالعربية . أيضاً محمد رفيع، وتركي الماضي وعاتق البلادي والعمودي والعقيلي وغيرهم جاءوا من

---

(١) كثير من أرباب العلم والثقافة والبحث العلمي لم يعرفوا منطقة جازان تاريخياً وحضارياً وبخاصة في العصر الحديث إلا من خلال بحوث وكتب ومؤلفات محمد أحمد العقيلي . وهذه منقبة كافية وواجب على أكاديمي ومثقفي جازان فيردوا له الجميل بالذكر الحسن ودراسة أعماله العلمية والأدبية .

بيئات مختلفة داخل الجزيرة العربية . والاختلاف في المواطن يظهر لنا التنوع في اللغات واللهجات، وفي جوانب اجتماعية عديدة مثل: اللباس، والطعام، والعادات والأعراف والتقاليد . كذلك العيش في ظروف اقتصادية وثقافية متنوعة تشكل أناساً مختلفين في الأوضاع المعيشية، وفي الفكر والثقافة . فالذي عاش في جازان مثل: العمودي، ومحمد زارع عقيل، والعقيلي يختلفون عن الذين جابوا أقطار الكرة الأرضية أو بعض بلدان العالم مثل: ابن بطوطة، وابن المجاور، وفلبي، وتويتشل ،والريحاني، وشيجر وغيرهم .

والناظر في النتاج العلمي الذي خلفه لنا هؤلاء الرحالون يجده متنوعاً في الكم والكيف . فالهمداني وابن المجاور وابن بطوطة وعمارة لم يكونوا مقصورين على علم معين وإنما كانوا - غالباً - يجيدون العديد من المعارف الشرعية واللغوية إلى جانب علوم التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع . كذلك الرحالون المحدثون كانوا متفاوتين في ثقافاتهم ومعارفهم، فالبعض منهم موسوعي المعارف مثل: فلبي والريحاني والعقيلي، وآخرون يجيدون بعض العلوم أكثر من غيرها مثل: كورنواليس، وبدول، وتويتشل، وشيجر، ومحمد عمر رفيع فقد كان كل واحد من هؤلاء يجيد علماً محدداً مثل: كورنواليس في باب الدبلوماسية والسياسة والاستخبارات، وتويتشل في ميدان التنقيب عن المياه والنفط، وشيجر في دراسة الحياة الفطرية والطبيعية والحيوانية، وابن رفيع في التعليم والتدريس .

أيضاً اختلفت أهداف كل منهم في باب السفر والترحال، فالبعض مثل: ابن بطوطة كان هاوياً للرحلة والتجوال، وربما الهدف نفسه كان عند الهمداني وابن المجاور وعاتق البلادي . وهناك من قدم إلى جزيرة العرب، وإلى جازان تحديداً لإنجاز بعض الأهداف السياسية أو الثقافية والتعليمية مثل: كورنواليس، وفلبي، والريحاني وتويتشل، وشيجر، ومحمد رفيع، وتركي الماضي . كما أن هناك رحالين آخرين قدموا إلى جنوبي الجزيرة العربية وبخاصة منطقة جازان معتمدين على نفقاتهم الخاصة في إنجاز رحلاتهم مثل: الهمداني، وابن بطوطة، وعاتق البلادي، وبعض مؤرخي ورحالي جازان. في حين أن هناك فريق آخر كانوا مدعومين أمنياً ومالياً وسياسياً، أمثال: فلبي، وتويتشل، وكورنواليس، وشيجر، وتركي الماضي .

ومن خلال هذا التنوع في الوسائل والأهداف . اتفق جميع هؤلاء الرحالة على تدوين انطباعاتهم ومشاهداتهم عن منطقة جازان، مع تفاوت في كم المعلومات المجموعة أو الأجزاء والنواحي التي تم زيارتها . ومن ثم خرجت لنا الكثير من التفصيلات التي صورت تاريخ وحضارة بلاد جازان منذ القرن(٤-١٥هـ/٢٠-٢١م)[١] . وما جمع في هذا الباب يعد في الحقيقة ذا قيمة علمية في تاريخ منطقة جازان، بل هو لبنة رئيسية في سبيل تقديم دراسات وبحوث أكاديمية عميقة في المحتوى والمضمون[٢] .

٢ ـ المصادر والمنهج المستخدم من الرحالين في جمع وتدوين مدوناتهم :

جميع هؤلاء الرحالين المذكورين في هذا القسم اعتمدوا في جمع مادتهم على الترحال والمشاهدات والانطباعات[٣]، ومن ثم استطاعوا أن يجمعوا لنا حصيلة علمية تاريخية قيمة، يصعب في كثير من الأوقات العثور عليها في أي مكان آخر. ونلحظ أن بعضهم لا يتوقفون عند تدوين مشاهداتهم فقط، وإنما يسعون إلى الالتقاء ببعض الرواة أو أعيان أو وجهاء المنطقة فيسألونهم عما يصعب عليهم معرفته أو تفسيره . والصفة السائدة على جميع الرحالين المذكورين أنهم دونوا ما رغبوا في تدوينه من خلال ما رأوه أو سمعوه أو أحياناً سألوا عنه . وهناك فعلاً الكثير من المعلومات في بعض المدونات مثل: إحصائيات السكان، أو أسماء القرى والأودية والجبال، أو بعض الأعراف والتقاليد، أو بعض الجوانب الاقتصادية المتنوعة لم يعرفوها إلا بالمشاهدة ثم السؤال عن بعض تفاصيلها . وحجم المادة المدونة عند كل رحالة تختلف من واحد لآخر، فمنهم من كان موجزاً ضنينا في مدوناته، وآخرون لهم شروحات متوسطة أو مطولة في جوانب تاريخية حضارية متنوعة في محاورها وأبوابها[٤] .

---

(١) القرون من (٩-١٣هـ/١٥-١٩م) لم تحظ باهتمام في هذه الدراسة لعدم وجود رحالين ظهروا في تلك الفترة . ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس هذه القرون ويطلعنا على رحالين وصلوا منطقة جازان في تلك القرون الغابرة.

(٢) نأمل أن نرى بحوثاً ورسائل علمية أكثر دقة ورصانة عن منطقة جازان، وتكون مدونات الجغرافيين والرحالين من المصادر الرئيسية لخدمة مثل هذه الدراسات الأكاديمية .

(٣) ما عدا روبن بدول الذي جمع مادته العلمية من السجلات والتقارير البريطانية التي تحدثت عن جنوبي الجزيرة العربية وبخاصة عسير وجازان وما جاورها .

(٤) من يستقرئ ما تم ذكره في هذا القسم يجد التفاوت واضحاً فهناك الذي دون عشرات وأحياناً مئات الصفحات في تاريخ وحضارة جازان خلال عصر صاحب المدونة . وهناك من اقتصر على الحديث عن مكان محدود أو في جزئية تاريخية أو حضارية محددة . وفي اعتقادنا أن جميع مدونات رحالي القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة بالجمع والدراسة ، وموضوع الرحلات والرحالة في جازان موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراة، ونأمل من أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يكون مثل هذا الموضوع عنواناً لأطروحته العلمية .

٣ ـ دراسة ومقارنة وتحليل لمدونات الرحالة :

١. مـن خلال استعراض مدونات هؤلاء السبعـة عشر مؤرخاً ورحـالاً اتضح لنا أن هناك بعض الموسوعيين في معلوماتهم، وأهم من اتصف بهذه الصفة هما: فلبي والعقيلـي فقد حفظا لنا عن منطقة جـازان من التاريخ والحضارة ما لم يحفظه لنـا غيرهما. فأما فلبي فهو ذلك العـالم البحاثة الرحالة الذي يجيد فن الرصد والتدويـن والتحليل، حفظ لنا في كتابه الموسوعي: **مرتفعات الجزيرة العربية** أكـثر مـن (٤٠٠) صفحة تحـدث فيها عـن جغرافية جـازان الجبليـة والسهلية والساحليـة، كما ناقش قضايا عديدة عن الأحوال السياسية والإدارية في المنطقة، ولم ينس إيراد بعض التفصيلات عن النقاط الحدودية بين بلاد اليمن والسعودية في منطقة جازان . وحفل كتابه بالكثير من المعلومات الجديدة والقيمة في جوانب اجتماعيـة عديدة مثل: الطعـام والشـراب، واللباس والزينة، والبنـاء والعمارة، والكثـير من الأعراف والعادات والتقاليد الجازانيـة . كذلك الجانب الاقتصادي مـن زراعة وتجارة وحرف وصناعات تقليدية نالهـا الكثير من الاهتمام عند هذا الرحالـة البارع، كما أورد صوراً من الحيـاة الثقافية والتعليمية والفكرية . والذي حفظـه لنا فلبي من مدونات جديرة بالتقدير والاحترام والاستفادة، وهو في رأينا مبدع رائد في كل ما دون لنا ووصلنا عن بلاد جازان[١] .

أمـا العقيلـي، ابن جازان وشيخهـا وعالمها فهو الآخر عـالم موسوعي، فلم يترك مجالاً من مجالات التاريخ والتراث والفكر عن جازان إلا وكتب فيه. وإذا كان فلبي اعتمـد في جمع مادته علـى الرحلة والتجوال والمشاهدة والسـؤال، فكذلك الشيخ العقيلـي فعـل نفس المنهـج لعقود من الزمـن بخلاف فلبي الـذي قضى في عموم منطقـة جازان بضعة أسابيـع . والعقيلي لم يكن مؤرخاً أو شاعـراً أديباً فحسب، ولكنـه كان جـوالاً رحالة في منطقة (جازان) بامتيـاز . والفاحص لمدوناته وكتبه التي خلفها لنا يجد كثيراً منها اعتمد على التجوال والسؤال، ومن ثم وصلنا الكثير من موروث المنطقة عن طريق هذا الابن البار لأهله وذويه، جازان وأهلها[٢].

ونستطيع القول أن مكان العقيلي على رأس قائمة المؤلفين والرحالين الذين كتبوا عـن جـازان، بل هو من وجهـة نظرنا الأول، فليس له نظـير، ولا يوجد مجال من

---

(١) انظر فلبي، مرتفعات، ج٢، ص ٨١٩ ـ ١٢١٥ .

(٢) للعقيلـي عشـرات الكتـب والدراسات عن منطقة جازان انظـر أسماء بعضها في صفحات سابقـة من هذا القسم، وانظر قائمة بأسماء مؤلفاته مدونة في الصفحات الأخيرة من كتبه نفسها .

مجالات التاريخ والحضارة والفكر والتراث عن منطقة جازان إلا وكتب عنه، فلله درك من عالم جازاني موسوعي[١].

٢. تتقاصر الهمم بعد العقيلي ثم فلبي، فالرحالة الآخرون أشاروا إلى الجانب الجغرافي لمنطقة جازان، مثل: الهمداني، وابن المجاور، وابن بطوطة، فذكر الأول بعض معالم محدودة في جازان، أما الثاني فأشار إلى جزيرة فرسان ،وابن بطوطة ذكر الشرجة (الموسم) بإيجاز شديد. أما كورنواليس فقد ذكر بعض المعلومات عن تضاريس ومناخ عسير وجازان، ثم جاء محمد رفيع والبلادي فتكلما بشيء من التفصيل عن قرى وجغرافية السهول الجازانية من الشقيق والدرب إلى مدينة جازان وما جاورها، واكتفى الريحاني وتويتشل بإشارات جغرافية عن مدينة جازان، وشيجر وتركي الماضي أوردا لنا معلومات لا بأس بها عن مناطق الجبال في فيفا والريث وما حولهما . كذلك ابن زارع، والعمودي، والعريشي . فذكر الأول معلومات قيمة عن جبل القهر، أما العمودي فأوجز الحديث عن بعض حواضر المنطقة، وكذلك العريشي أوجز هو الآخر عن مدينة أبو عريش . ولذا فالجانب الجغرافي عند جميع هؤلاء الرحالة السابق ذكرهم لم ينل حقه من البحث والتدوين[٢].

٣. نجد بعض هؤلاء الرحالة دونوا تفصيلات عن القبائل والتركيبة السكانية في منطقة جازان . وبدول وكورنواليس على رأس القائمة في هذا الباب، وقد سلك مسلكهما إلى حد ما كل من تركي الماضي وعاتق البلادي ومحمد رفيع فذكروا العديد من القرى أو العشائر في السهول والساحل وأحياناً في المرتفعات، بل بعضهم ذكر إحصائيات تقريبية لسكان بعض القبائل والبلدان الجازانية، ولكن تلك الإحصائيات غير دقيقة لأن مادتها جمعت بطريقة عشوائية، وفي أغلب الاحتمالات من أفراد غير دقيقين في أقوالهم ورواياتهم التي قدموها لأولئك الرحالين [٣].

٤. لم تخل مدونات بعض هؤلاء الرحالين من معلومات حربية وسياسية وإدارية وأمنية . وأولهم عمارة اليمني الذي أشار إلى بعض الشذرات الحربية

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الجانب الجغرافي مطروق في كثير من البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية، ولهذا فلم يكن محورياً عند هؤلاء الرحالة، مع أن الأزمنة التي زاروا فيها جازان متفاوتة، وربما كان هناك الكثير من التغيرات الجغرافية والبشرية والطبيعية .

(٣) هناك أرقام إحصائية كثيرة عند هؤلاء الرحالين، وفي أوقات متفاوتة . وعند دراستها ومقارنتها مع بعضها البعض ومع مصادر ووثائق أخرى ظهر لنا أنها غير دقيقة، ولا تحاكي الواقع لمنطقة جازان أثناء زيارتهم لها .

والسياسية في بلاد بيش وصبيا وما حولهما، ثم تلاه كورنواليس وأمين الريحاني وتركي الماضي فأوردوا معلومات لا بأس بها عن الأوضاع السياسية والحربية والإدارية في المنطقة أثناء إمارة الإدريسي، وفي عهد الملكين عبد العزيز وابنه سعود آل سعود . ومن يقارن ما عاصروه ودونوه وما ورد في كثير من وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد نسبة المصداقية في رواياتهم كبيرة ودقيقة، بل نجدهم ذكروا تفاصيل عسكرية وسياسية يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر[١]. كما أن هذه المصادر احتوت على لمحات من التاريخ الإداري لجازان مثل: ذكر أسماء بعض موظفي إمارة الإدريسي، أو الحكومة السعودية، ويوجد أيضاً بعض الإشارات لإنجازات وأسماء بعض الأعيان والوجهاء والتجار وشيوخ القبائل الذين لهم رأي وثقل تاريخي وحضاري في بلادهم[٢].

٥. إذا نظرنا إلى الجانب الاجتماعي والثقافي والتعليمي في مدونات هؤلاء الرحالين، وجدناه قد حظي بنصيب لا بأس به . ففي كتب المبكرين منهم، مثل : (الهمداني، وعمارة اليمني، وابن المجاور، وابن بطوطة) لا تخلو من بعض الإشارات المفيدة في التاريخ الاجتماعي . أما الكتب المتأخرة من القرن (١٣-١٥هـ / ١٩-٢١م) فيوجد بها نسب متفاوتة رصدت بعض الجوانب الاجتماعية مثل: أنماط العمران، وتركيبة المنطقة اجتماعياً، كوصف القرى، وبعض أحيائها، وطبقات السكان فيها . كما أن هذه المدونات لا تخل من شذرات عن الطعام والشراب، واللباس والزينة، وبعض الأعراف والعادات والتقاليد. وكورنواليس، وبدول، ومحمد عمر رفيع، وشيجر، وتركي الماضي، والبلادي، والعريشي هم أفضل من حفظ لنا تفصيلات تاريخية في هذا الجانب[٣]. ونجد البلادي و العريشي يذكران أحياناً

---

(١) إن دراسة تاريخ وحضارة منطقة جازان في القرنين (١٣- ١٤هـ/١٩-٢٠م) جديرة بالبحث والدراسة والاهتمام، وبخاصة أن هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة التي تستحق الجمع والدراسة والتحليل . ونأمل أن نرى من أبناء هذه المنطقة الغالية على قلوبنا من يقوم بدراستها دراسة علمية أكاديمية، وتكون وثائق تلك الفترة هي المصادر الرئيسية للبحث والتأليف .

(٢) موضوع التاريخ الإداري في منطقة جازان خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بالاهتمام والبحث والدراسة . ونأمل أن نراه مدروساً في كتاب علمي أو رسالة علمية في إحدى أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية . وهناك مئات الوثائق غير المنشورة في هذا الباب جدير بالبحث والتحليل والدراسة .

(٣) هؤلاء جميعاً يأتون بعد فلبي والعقيلي فقد كانا رائدين في ذكر الشيء الكثير عن التاريخ الاجتماعي الجازاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) . وهذا الموضوع جدير بالاهتمام والدراسة، لما يوجد عنه من التفصيلات في الكتب والمدونات المنشورة، وفي الوثائق غير المنشورة . وأرجو أن نتمكن في قادم الأيام (بإذنه تعالى) فنخرج دراسة علمية موسعة في هذا الباب .

معلومات جيدة في ميدان التربية والتعليم في بعض نواحي المنطقة[١].

٦. وميدان الحياة الاقتصادية الجازانية خصب للبحث والدراسة لما تتمتع به هذه البلاد من مؤهلات طبيعية وبشرية تجعلها في الصدارة. وهؤلاء الرحالون وبخاصة المحدثين من كورنواليس حتى محمد زارع عقيل والعريشي نجدهم تعرضوا لجوانب اقتصادية مثل: الصيد، والرعي، والزراعة، والتجارة، والحرف والصناعات التقليدية. وجميعهم متفاوتون فيما جمعوا لنا في هذا الباب. لكن كورنواليس، ومحمد رفيع، وتركي الماضي، وعاتق البلادي أشاروا إلى جوانب عديدة في التاريخ الاقتصادي. والزراعة كانت من أفضل المحاور التي درست وبخاصة المنتجات الزراعية، وما امتازت به جازان من نباتات وأشجار وزروع. كما تعرض بعضهم مثل: البلادي إلى العديد من المهن والصناعات والحرف التي شاهدها في بلاد جازان من القحمة إلى مدينة جازان. ولم يكن محمد رفيع بعيداً عن البلادي في إشاراته إلى الزراعة والصناعات في النواحي الممتدة من الدرب إلى مدن جازان وأحد المسارحة وأبو عريش وما حولها.

أما تجارات جازان فهي جانب مهم، وقد أشار إليها كورنواليس بشكل لابأس به من حيث الصادرات والواردات، والرسوم التي تجبى على بعض التجارات، ووسائل النقل التجارية، والطرق التي تربط بين مدن جازان ومرتفعات عسير. ثم جاء بعده محمد رفيع وشيجر وتركي الماضي والبلادي فذكروا معلومات متناثرة عن بعض النشاطات التجارية في نواح عديدة من جازان. أما الريحاني وتويتشل فلم يخرجا عن مدينة جازان، وذكر معلومات لا بأس بها عن التجارة والتجارات في هذه المدينة الرئيسية[٢].

---

(١) تاريخ التربية والتعليم في منطقة جازان خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بالبحث والدراسة. ونرجو من زملائنا وإخواننا في أقسام التاريخ والتربية بجامعة جازان أن يلتفتوا إلى مثل هذا الموضوع المهم بحثياً وعلمياً، فهو جدير أن يخصص له أكثر من كتاب ودراسة.

(٢) الحياة الاقتصادية في جازان بشكل عام، والتجارة بشكل خاص كانت تواجه العديد من المعوقات مثل: صعوبة التضاريس، وانفلات الأمن وخاصة في العقود الستة أو السبعة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م). ووقوع العديد من الأمراض والمجاعات وأحياناً الجفاف، والحروب والصراعات وغيرها. وجميع هذه المشاكل أثرت على ممارسة المهن الاقتصادية والتجارية. ودراسة التاريخ الاقتصادي والمالي في منطقة جازان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع حيوي يستحق أن يصدر عنه العديد من الكتب والبحوث العلمية. ونأمل من الله عز وجل أن يسهل أمورنا حتى نتمكن من إخراج دراسة موسعة في هذا الباب. فهناك مئات الوثائق الجديدة وغير المنشورة وجميعها تصب في دراسة تلك الحقبة اقتصادياً ومالياً.

٧. من المؤسف حقاً أن جميع هؤلاء الرحالة لم يتعرضوا لدراسة الآثار، والتراث الشعبي الجازاني، ومن ثم فلم يكن له نصيب يذكر عندهم . مع كثرة الآثار المنتشرة في منطقة جازان، ووجود الموروث الشعبي بغزارة كما هو في جميع أنحاء العالم [١].

رابعاً : آراء ووجهات نظر :

والخلاصة : أن هؤلاء الرحالين جاءوا إلى منطقة جازان تحت دوافع اجتماعية أو سياسية واقتصادية أو علمية مختلفة . فالهمداني وعمارة اليمني وابن بطوطة وربما ابن المجاور جاءوا إلى هذه الديار أو كتبوا عنها من باب الرحلة والتجوال وخدمة الثقافة والعلم . أما رحالة العصر الحديث فقد تباينت أهدافهم، فهناك من درس هذه البلاد لهدف سياسي استخباراتي، وهناك من دون معلوماتها بدعم من قوى سياسية محلية مثل: تويتشل، وفلبي، وشسيجر، وربما الريحاني فقد عاصروا إمارة الإدريسي، أو حكومة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ومن ثم نالوا الدعم والرعاية من تلك الحكومات ودونوا لنا ما أطلعنا عليه في كتبهم . ونجد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قد احتضن كل من تويتشل، وفلبي، وشسيجر، وسهل لهم جميع وسائل الرحلة والتجوال في بلاده، وبالتالي جاؤوا إلى جازان وجمعوا تفصيلات تاريخية وحضارية يصعب أن نجدها عند غيرهم .

وهناك من كان موظفاً حكومياً سعودياً، مثل: تركي الماضي، ولكن عمله الإداري والسياسي خلال فترة تواجده في جنوبي البلاد السعودية لم يمنعه من تدوين مشاهداته التي عرفها وشارك فيها أثناء إمارة الإدريسي، أو أثناء قمع ثورة الريث عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) . والبعض من هؤلاء الرحالة كان هاوياً لخدمة العلم أمثال: محمد رفيع، وعاتق البلادي، والعقيلي، والعمودي، ومحمد زارع، والعريشي فقد دونوا ما وصلنا منهم بدافع الرغبة والهواية لخدمة الثقافة. ومن ثم اجتمع لدينا لفيف من الأخبار والروايات القيمة عن الديار الجازانية، وقد تفتح آفاقاً أوسع لإصدار دراسات علمية أكاديمية مطولة. ولنا بعض الرؤى والتوصيات، وهي على النحو التالي :

---

(١) نأمل أن نرى دراسات علمية أكاديمية عن الآثار والفنون الشعبية الجازانية . وإذا كان العقيلي (رحمه الله) قد ذكر بعض الشيء عن هذين الجانبين فلا زالت هناك ميادين تستحق دراسات علمية أكاديمية رصينة. ونأمل من كلية السياحة والآثار في جامعة الملك سعود، ومن أقسام الآثار وعلم الاجتماع في جامعاتنا السعودية أن تولي هذه الموضوعات اهتماماً كبيراً فهي جديرة بالبحث والدراسة.

١. مدونات الرحالين من المصادر التاريخية المهمة، والواجب الرجوع إليها والاستفادة منها وبخاصة من قبل الدارسين والباحثين في العلوم الإنسانية والنظرية مثل: التاريخ، والأدب، واللغة، والعلوم الاجتماعية والثقافية والفكرية وغيرها .

٢. ما تم عرضه من نماذج رحالين زاروا جازان خلال قرون عديدة من التاريخ الإسلامي، يؤكد على الثراء الحضاري لبلاد جازان . كما يوحي أنه مازال هناك تراث وتاريخ وحضارة غير معروفة عن هذه الأوطان التهامية الغنية بخيراتها ومواردها الطبيعية والبشرية . وهناك العديد من العناوين في ميادين الرحالة والرحالين الجديرة بالبحث والدراسة ونذكر نماذج منها في البنود التالية .

أ. جازان في عيون الرحالين القدماء، أو جازان كما وردت في مصادر الرحلات القديمة.

ب. جازان في مدونات الرحالين والجغرافيين المسلمين الأوائل منذ القرن (ق١-١٠هـ/ق٧-١٦م) .

ج. جازان والجازانيون في عيون الرحالين العرب والمسلمين في العصر الحديث (ق١١- ١٤هـ/ ق١٧-٢١م) .

د. بلاد جازان كما رآها الرحالون الغربيون منذ القرن (١٠-١٤هـ/ ق ١٦-٢٠م).

هـ. دراسة التاريخ الحضاري لمنطقة جازان من خلال كتب الرحلات في العصر الحديث والمعاصر.

و. جازان كما جاءت في كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية، لفلبي (دارسة تحليلية ونقدية ومقارنة) .

ز. منطقة جازان في عيون وأقوال موظفي الحكومة السعودية الحديثة (١٣٥٠-١٣٧٥هـ/١٩٣١-١٩٥٥م) (دراسة تاريخية حضارية) .

ح. جازان في روايات وأقوال وأشعار المعلمين النظاميين، المتعاقدين والوطنيين (١٣٥٥-١٣٩٠هـ/١٩٣٦-١٩٧٠م) .